عمر المختار

الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا

تأليف

الطاهر أحمد الزاوي

المدار الإسلامي

عُمر المختَار

الحلقة الأخيرة

من الجهاد الوطني في ليبيا

بقلم
الطاهر أحمد الزاوي

دار المدار الإسلامي

تم طبع الكتاب بالاتفاق مع نجل المؤلف

الطبعة الثانية

آذار/مارس/الربيع 2004 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 5312/ 2002
ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-130-8
دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،
خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb
ص.ب. 6703/14 ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،
هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218،
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى ـ oeabooks@yahoo.com

الإهـــداء

إلى أصدقاء البطل الشهيد السيد عمر المختار . .

إلى من له صلة بأولئك الأبطال

الذين استشهدوا معه في سبيل الله،

أهدي هذا الكتاب

الطاهر الزاوي

عمر المختار

مقدمة

جهود العلّامة الشيخ المجاهد الطاهر أحمد الزاوي
في الحفاظ على التاريخ وإحياء التراث العربي

د. هاشم بن المهدي الشريف الوداني

التراث لأي أمة هو الصلة الوثقى بين الماضي والحاضر، وهو أيضاً آية القدرة والفعالية للأمة على مغالبة الصعاب والصمود لاجتياز الشدائد والمحن التي قد تتعرض لها الأمة في حياتها، وذلك بما يبعثه من ثقة ويشعه من أمل في نفوس أبناء الأمة المتطلعة إلى تحقيق حياة أفضل كريمة.

ولا نرتاب في أن تراث أمتنا الموحدة الواحدة هو دعامة من دعامات النهضة التي تنشدها أمتنا، وهو من أغزر روافد الفكر وأغنى مصادر ثقافتنا وأخصبها، وليس بخاف أن جل هذا التراث مبعثر بين المكتبات الخاصة والعامة في أرجاء المعمورة، القليل منه معروف وأكثره مخطوط مجهول يصعب الانتفاع به إن لم يكن مستحيلاً إن ظل كذلك. وقد أدرك الرعيل الأول من أفذاذ هذه الأمة المعطاءة أن عليهم واجباً نحو التراث والأمة معاً، فشمروا عن سواعدهم نابذين الراحة راضين بما تيسر من عيش الكفاف، فالتفتوا إلى هذا التراث ومضوا ينقّرون في المكتبات يفحصون أكوام الأوراق

التي تكدس عليها الغبار وعاشت في ربوعها الأرضة وغيرها من الحشرات، ليختاروا ما يرون أن الحاجة إلى بعثه ونشره أمسُّ، ومضوا يستخدمون منهج الأسلاف العلمي في التحقيق والتوثيق والتصويب، وقد أثمرت هذه الجهود الفردية - بفضل الله سبحانه - التي لم يكن لها من دافع سوى الغيرة على التراث وحب الخير للأمة والإنسانية قاطبة محتسبين الأجر عند الله، تبارك وتعالى، فهو الذي لا يضيع أجر من عمل صالحاً أبداً.

ولقد كان العلامة المرحوم الشيخ الطاهر أحمد الزواي من هذه العصبة المؤمنة بقدسية التراث الذي أفنى فيه الأجداد أعمارهم الزكية، فانطلق بقدر ما سمحت له ظروف الحياة التي كان يغالبها حتى آخر أيام حياته واستطاع بتوفيق من الله أن يقدم جملة صالحة من الأعمال العلمية النافعة في ميدان خدمة التراث وتيسيره للقراء للانتفاع به، ذلك إلى جانب ما ألفه من أسفار ذات قيمة في التاريخ والجغرافيا والتراجم والفتيا واللغة والأدب والأمثال.

من هذه المؤلفات الشائقة ما سطره في تاريخنا الوطني بعنوان.. «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» وهذا السفر جليل مفيد، سدّ به، رحمه الله، نقصاً في المكتبة العربية ما كان ليسدَّ لولاه آنذاك، وقد أوضح في مقدمته لهذا الكتاب الأسباب التي حدت به إلى تسطيره بقوله: «ومما كان يحز في نفسي أني حينما كنت أطالع فتح إفريقية في كتاب ما، لم نجد فيه من آثار الفتح العربي في ليبيا ما يعطي للقارىء صورة لهذا الوطن العربي وأعمال العرب فيه، فأدركت أن ما يتعلق منه بليبيا لا يزال مبعثراً في بطون الكتب، ويحتاج إلى جمع وتنسيق، فأردت أن أقوم بهذه المهمة كفاء لما لطرابلس علينا من فضل التربية وحقوق الأمومة، وقياماً بواجب الوطن، وما يتطلبه في حياته الجديدة من تضافر جهود أبنائه على تدعيم نهضته الثقافية»[1].

وهكذا يظهر لنا جلياً من هذا الذي ذكره المؤلف أن حب الخير

---

(1) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 6.

والحرص عليه وعلى الأمة هو الذي حمل المؤلف على التنقير في بطون المصادر القديمة والحديثة، ليجمع ما تفرق من أخبار ومعلومات في المصادر ويقدمه منسقاً في كتاب، مساهمة منه في إرساء القواعد العلمية السليمة التي يجب أن تتبع في العمل من أجل نهضة الوطن المتحفز، وغير خاف أن مثل هذا العمل كان يتطلب من المؤلف - رحمه الله - الصبر الطويل والدأب والمعاناة، مما لا يستطيعه إلا من كان له إيمان وعزيمة مثلما كان للشيخ المجاهد الزاهد في ملذات الحياة والراحة.

كان الشيخ الطاهر رحمه الله مثالاً للعالم المتواضع، فلم يَدَّعِ لعمله الكمال، وكان أميناً لم يخف مصدراً رجع إليه واستقى منه، وهكذا مضى يسجل جميع المظان التي رجع إليها «رجعت إلى كل كتاب علمت أنه يتصل بالفتح العربي في ليبيا من قريب أو بعيد، وأخذت منه كل ما يتعلق بليبيا»[2].

وهو يتعشم أخيراً أن يكون قد كشف حلقة من تاريخ قطر من أقطار العروبة كانت مطموسة، وأن يفتح أمامهم باب البحث لإكمال الناقص من تاريخ ليبيا، على أن كتاب الفتح العربي في ليبيا يعتبر اليوم مصدراً من مصادر التاريخ الليبي، فقد حشد فيه المؤلف مادة تاريخية غزيرة ومهمة تنير السبيل لكل دارس للتاريخ الليبي.

هذا ومن يقرأ ما سطر المغفور له الشيخ المجاهد الطاهر أحمد الزاوي في تاريخ الفتح العربي في ليبيا يدرك أن حديث مؤرخنا عن الفتح لم يكن مجرد لملمةٍ للأخبار أو جمعٍ وتكديس للروايات المتناثرة في الأسفار هنا وهناك، بل كان إلى ذلك صاحب نظر يعمل العقل والفكر والنقد فيما ينقل ويسطر، فكان يقلب الروايات ويفحص الأخبار ويقارن بينها ليتبين وجه الصواب الذي يمكن الاطمئنان إليه والتسليم به، وإذا كان له رأي أو تعليق

(2) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 6.

على خبر أو رواية سجله مبيناً ما يراه أو يرجحه، وهو في كل ذلك صاحب منهج واضح بيّن حين يوازن بين الروايات المتضاربة باحثاً عن العلل المقنعة والأسباب الوجيهة المنطقية المدعمة بالأدلة والقرائن الثابتة(3) وهذا هو سبيل المؤرخ الثبت الثقة الذي يجعل نصب عينيه البحث عن الحقيقة التاريخية وإبرازها جلية واضحة مقنعة لا لبس فيها.

ولا ريب في أن همّ مؤرخنا الأكبر الذي عرفته منه منذ أول ما عرفته في دار الهجرة بأرض الكنانة سنة 1959، والذي يظهر جلياً في جميع أعماله العلمية، هو بعث الأمل في نفوس شباب الأمة وإحياء الثقة بأنفسهم وقدراتهم من أجل حضهم على العمل وتحفيزهم لبناء الوطن الموحد، وهكذا فقد كان، رحمه الله وأوسع له في الجنات، مثالاً حياً للوطني الغيور الحريص على مصلحة البلاد والأمة جمعاء، بعيداً عن التعصب محذراً من الانسياق وراء العواطف الهوجاء والنزوات الذميمة التي تفرق بين الجماعة وتبدد الجهود، وهذا عين ما جعله يقف مرات عديدة مبدياً عجبه مما يسوقه بعض المؤرخين - أو يكتب في التاريخ - من روايات غريبة غير معقولة يلقونها وكأنها مسلّمات لا تقبل جدلاً ولا حواراً، ثم إنهم لا يعلقون عليها بشيء، ونراه يسوق مثالاً لذلك وهو ما ذكره الأستاذ المرحوم بيرم وقد جعله سبباً لاحتلال الإسبان طرابلس(4). مما جعل مؤرخنا المرحوم الشيخ الطاهر يقف ليناقش بالعقل والمنطق هذه الرواية، عاملاً فيها ميزان النقد ليصل بعد ذلك إلى ما يمكن أن يقبله العقل ويقرّه المنطق ولا يدحضه النقد في هذه الرواية.

بدأ مؤرخنا الشيخ الطاهر الزاوي الكلام في كتابه «تاريخ الفتح العربي في ليبيا» عن الاسم «لوبيا» في التاريخ، هذا الاسم الذي حاول بعض

---

(3) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 31.

(4) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 276 - 277.

مؤرخينا التشبث به فيما بعد، ثم مضى الشيخ الطاهر يسرد أقوال بعض المؤرخين من أمثال ابن تغري بردي وأبي الريحان البيروني، وقد نقل عنه تقسيم اليونان للمعمورة، ولكنه لم يتركه بل لقد علق عليه بما دل على اطلاع كاف وثقة، حيث قال: «إن هذا التقسيم اليوناني لا سند له من التاريخ»[5] وكان هذا التعليق بعد مناقشة علمية مستفيضة، واستعرض أثناءها أقوال المؤرخين الثقاة من أمثال المقريزي، وما نقله هذا المؤرخ الثبت عن القضاعي صاحب الخطط ليثبت أن المنطقة، المسماة «لوبيا» تقع ضمن الأراضي المصرية شرقي حدود برقة، ثم قال: «إن إطلاق كلمة لوبيا على برقة وطرابلس إطلاق ظلموا به ذلك الشعب العربي الذي ما ينفك ينتسب إلى العرب»[6]، ثم انتقل بعد هذا إلى الحديث عن سكان ليبيا القدماء مستعرضاً بإفاضة وتدبر، كعادته دائماً، أقوال العلماء المختلفة في أصولهم ودياناتهم وقبائلهم، ولم يغفل الحديث عن الأمم التي سكنت الشمال الإفريقي كالفينيقيين والروم والوندال مبيناً أن الفينيقيين - كما هو معلوم - أمة سامية عربية قديمة[7].

وبعد هذه المقدمة المركزة الشاملة باشر مؤرخنا الحديث عن فتح العرب برقة وما وراءها من البلدان الليبية والإفريقية[8]: هذه لمحة سريعة عن هذا المؤلف الشائق الذي ضم بين دفتيه مادة تاريخية هامة نقل عنها مؤرخنا وجمعها من المصادر والمظان المختلفة، ثم إنه لم يتركها من غير بحث أو مناقشة كلما اقتضت الحاجة ذلك من أجل إصلاح خطأ أو إزالة إبهام ولبس، وفي كل ذلك يتبين القارىء مدى الجهد الذي أنفقه الشيخ المرحوم الطاهر الزاوي ليضع لبلاده وأهله تاريخاً شاملاً للفتح العربي في ليبيا، ذلك الفتح

(5) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 11.
(6) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 12.
(7) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 23.
(8) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: 30.

المبين الذي أرسى قواعد التوحيد ودين الفطرة والوحدة، وقضى على الشرك والوثنية في ليبيا وإلى الأبد إن شاء الله تعالى.

لقد أجهد مؤرخنا نفسه غاية الجهد من أجل كتابة هذا التاريخ المشرق الزاهي لهذا الوطن الذي أحبه، وأفنى عمره مجاهداً صامداً في سبيله، ففي كل عبارة من عباراته يتبين المنصف أن حب الشيخ لهذا الوطن أضناه، فلم يَشْكُ ولم يتعب ولم يكترث بما كان يعانيه من أجله في القديم والحديث على السواء وكان في كل هذا محتسباً الأجر عند خالقه سبحانه وتعالى، ولا ريب في أن التاريخ الأمين مستحفظ وسينصفه وأمثاله ممن ضحوا بالراحة وزهدوا في نعيم الحياة ورغد العيش في سبيل الوطن المفدَّى، كما أنه سيدين آخرين ممن فرطوا في حقه وأساءوا إليه وعقُّوه.

هذا عن تاريخ الفتح العربي في ليبيا، وأما عن كتابه النفيس الثاني «جهاد الأبطال في طرابلس الغرب» فالحديث يطول، ولا أحسب أن هذا مكان الحديث الضافي عنه، وسأتركه لوقته ومكانه، وربما لمن هو أجدر بالحديث عنه من المتخصصين في علم التاريخ، ومع ذلك فإنني ألاحظ أن الشيخ الطاهر الزاوي قد بذل جهداً محموداً خصباً، حيث أرخ في هذا السفر للجهاد والمعارك الحربية التي خاض غمارها الآباء والأجداد، وأبلوا فيها البلاء الحسن ضد الصليبيين الغزاة الذين تقيأتهم أوروبا البربرية، وذلك ليبين أن الاستقلال الذي حظيت به ليبيا لم يكن هدية، ولكنه ثمرة كفاح طويل مرير خاضه شعبنا العربي المؤمن الموحِّد، وعانى في سبيله القتل والتشريد والنفي والتعذيب. فاستقلالنا منتزع انتزاعاً في ميدان القتال الذي هبَّ إليه الشعب العربي الليبي هبة رجل واحد، على الرغم من قلة الإمكانات وعسر الظروف وتكالب ذوي المطامع والأغراض الدنيئة عليه، ولم يكن للشعب الليبي في هذه الحرب من عتاد أو زاد سوى الإيمان بالله والوطن وقدسية الدفاع عن الذمار والمقدسات التي كان الليبي يعيش دوماً محافظاً عليها مضحياً من أجلها بالنفس والنفيس.

هذا هو أحد الأسباب التي حملت المؤلف على كتابة هذا التاريخ للجهاد وأبطاله، وثمة سبب آخر وهو خوف المؤلف - رحمه الله تعالى - على الحقائق الجلية في الحرب الطرابلسية من الضياع أو التزييف، وزاد من قيمة هذا الكتاب أن المؤلف نفسه ممن اشترك في الجهاد وخاض المعارك وأعد لها وتفاعل معها كما بيَّن كل ذلك في كتابه وما لم يشاهده بنفسه تلقاه رواية عن رواة ثقات، عاشوا الأحداث، وأبلوا في المعارك الحربية وتحمل بعضهم عبء المسؤولية وشرف القيادة(9).

ولقد أحسن مؤرخنا المجاهد الصنع بتأليفه هذا الكتاب. وبذلك وضع النقاط على الحروف قبل أن يقوم المزيفون بتغيير الحقائق أو نسبتها لأنفسهم أو لغيرهم ممن يحابون ممن ليس لهم فيها شأن ولا باع، وفي صنيع مؤرخنا الشيخ الطاهر الزاوي حفظ للحقائق وحرص على الأمانة وكف لستر الخونة والعملاء والدخلاء على حركة الجهاد، والشيخ الزاوي في كل هذا يبدو مؤرخاً أميناً لا يحرص على شيء قدر حرصه على تجلية الحقائق وقراءة الأحداث بعقل ورويَّة للوصول إلى الصائب من الأحكام والنتائج المقنعة، ولهذا نراه يتتبع الروايات المختلفة ممحصاً ليشرك القارىء الذي يعنيه أن يقف على الحقيقة ويعرف الصواب حتى يستخلص بنفسه النتائج ويقرر الأحكام.

والكتاب بعد ذلك - كما يقرر مؤلفه - وثيقة تاريخية، ومن أصح ما سطر من الوثائق المتعلقة بحركة الجهاد الليبي ضد الغزو الفاشيستي الإيطالي، وقد ضم الكتاب جملة من الحقائق التي لا يرقى إليها الشك مما رآه المؤلف بنفسه وعاشه في ميدان الكفاح المسلح، ذلك إلى جانب ما تلقاه من الزعماء الذين كان لهم شرف رياسة حكومات المجاهدين، والذين كانوا يفاوضون ويديرون المكاتبات والمعاهدات بين المجاهدين وأعدائهم من

(9) جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.

الإيطاليين، كما أنه قد روى عن الأبطال الذين خاضوا غمار المعارك بصفتهم قواداً أو جنوداً يدافعون عن حمى الوطن والعقيدة[10].

ومما يزيد في أهمية الكتاب والاطمئنان إلى صحة ما حواه من معلومات عن الحرب الليبية الإيطالية أن مؤلفه كان من المجاهدين الذين شاركوا في المعارك بسيفه وقلمه، وأنه لم يضيع الوقت في الانتظار قبل التدوين، حيث إنه قد باشر تأليف كتابه هذا بعيد استقراره في مصر، وهو ما يزال يتمتع بالقوة وصفاء الذهن وحدة الذاكرة التي اختزنت أحداث الجهاد، فكان يتذكر كل ما مر به أن روي له عن المعارك بالإضافة إلى ما كان قد دونه عن هذه الحرب المقدسة أولاً بأول مما يؤكد حرصه الشديد وعنايته الفائقة على إثبات الحقائق وحفظ التاريخ من أن يعبث به عابث في يوم من الأيام.

ولم يشأ المؤلف رحمه الله أن يستغل المغرضون والمشككون اسم كتابه لخدمة أغراض الوقيعة والفتنة بين أفراد الأمة. فراح يبين للجميع ما حمله على اختيار هذا الاسم المعروف به الكتاب وهو «جهاد الأبطال في طرابلس الغرب» وبهذا تتأكد لنا صفات أخرى من صفات الشيخ الحميدة الجليلة. وهي صفات الصّدق والإخلاص والاستقامة والوضوح وصواب الرأي والجهر به، وذلك حين يقول معللاً لاختياره الاسم: «ولم أسمِّه جهاد الأبطال في ليبيا» أو «في طرابلس وبرقة» لسببين: الأول أن كلمة ليبيا لم تكن رسخت في أذهان الناس وقت تأليفه، لأنها أحدثها الطليان فيما بعد، وفي اعتقادي أنهم أحدثوها لغرض سياسي هو القضاء على كلمتي طرابلس وبرقة العربيتين، وأقِرَّت بعد استقلال ليبيا، واتفق على إطلاقها على هذا الجزء من إفريقية الواقع بين حدود مصر وتونس.

والسبب الثاني أن معلوماتي عن الحرب في طرابلس أكثر وأصح سنداً

(10) جهاد الأبطال في طرابلس الغرب: 533.

من معلوماتي عن الحرب في برقة، لأني شاهدت الكثير من الحرب في طرابلس، وما لم أشاهده رويته عن الثقات الذين عرفتهم عن كثب واطمأنت نفسي لصدقهم لصلتي الشخصية بهم وحضوري الكثير من اجتماعاتهم.

أما حروب برقة فلم أشهد منها شيئاً، وقد بذلت جهداً كبيراً للوصول إلى ما رويته منها، وهو جد قليل، لذلك كانت تسمية جهاد الأبطال في طرابلس الغرب»[11] ومن كل هذا نتبين مقدار ما يتحلى به شيخنا المجاهد المؤرخ الطاهر أحمد الزاوي من حرص على الحقيقة وتمسك بالحق وحفاظ على الأمانة وشعور بالمسؤولية، كل هذا يتجلى في بيانه بأن المعلومات المدونة في الكتاب عن الجهاد في طرابلس أكثر وأصح سنداً وأوثق رواية من المعلومات التي دونها في ذات الكتاب عن الحرب في برقة، إذ إن المعلومات عن الحرب الطرابلسية عاشها المؤلف وشاهدها بعينه، فهو ممن عانى آلامها وتكبد تبعاتها، وما لم يتح له أن يعشه أو يعانيه منها تلقى أخباره عن الثقات الذين عرفهم وخبر فيهم الصدق والأمانة والإخلاص للحقيقة، فاطمأن إلى رواياتهم وأثبتها. وهو يعترف بأن ما رواه عن الحرب في برقة لم يشاهد منه شيئاً، وأنه قد بذل جهداً مضنياً من أجل الوصول إلى حقيقة ما رواه منها على قلته.

إذن هذه جملة الأسباب التي جعلت المؤلف الشيخ الطاهر يسمي كتابه بهذا الاسم المتداول اليوم، وهو ما ينطبق تمام الانطباق على الكتاب، وقد أصاب في اختياره الاسم كما نرى، فهو اسم إلى الحقيقة أدنى وادعى إلى أن يصدق على ما سطر من أخبار المعارك في حرب الجهاد التي أبلى فيها المجاهدون الأبطال زهاء ربع قرن في طرابلس الغرب، على الرغم من أن الطرفين لم يكونا متكافئين، حيث إن العدو الفاشيستي كان مزوداً بأحدث الأسلحة وأفتكها إذ ذاك، في الوقت الذي لم يتوفر لدى المجاهدين سوى

(11) جهاد الأبطال في طرابلس الغرب: 533.

الإيمان بالحق وقدسية الوطن وواجب الدفاع عنه وعلى هذا فقد تدافعوا إلى ميدان الحرب بما يملكون من بسيط العتاد غير عابئين بالموت حينما علا النفير، وصاح الداعي حيَّ على الجهاد.

أما مؤلف الشيخ الطاهر الزاوي الذي يلي كتاب جهاد الأبطال في طرابلس الغرب فهو كتاب (أعلام ليبيا)، وهذا السفر هو أول كتاب من نوعه ضم بين دفتيه من تراجم الأعلام الليبية ما لم يجتمع في كتاب سواه، ولم يقصره المؤلف، رحمه الله تعالى، على نوع واحد من الأعلام، بل لقد جمع العلماء من أي نوع كما يصرح بذلك المؤلف في المقدمة، فقد ترجم فيه الزاوي للفقيه والمفسر والمحدث والنحوي واللغوي والفرضي، كما ترجم فيه للشعراء والكتاب والأدباء والصحفيين والشجاع والكريم والثائر ورئيس القبيلة الخ ما جاء في المقدمة(12).

هذا ولم يغفل الحاكم العادل والقاضي المنصف والمفتي الشرعي والعابد والزاهد، كل هذه النماذج المضيئة ترجمت في هذا الكتاب الشائق الذي يوقفك على ما في هذا البلد من أفذاذ الرجال، الذين هم مفخرة للوطن على مدى العصور والأزمان. ولم يدّع المؤلف، رحمه الله، أنه قد أوجد هذه النماذج من العدم، ولكنه بكل تواضع العلماء يعلن أن ما ضمه معجمه من الأعلام إنما كان مفرقاً في كتب التراجم والرحلات والتاريخ، ولم يقدر لها قبل الآن أن تجمع في كتاب(13) وبمثل هذه الكثرة التي نجدها في كتاب الزاوي، وتزداد قيمة المؤلف ويرتفع قدره ويعلو شأنه أكثر حين نراه يقر لسابقيه بفضل الريادة والتقدم، من أمثال مؤلف (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) فقد كان هذا الكتاب من مصادر الزاوي التي استقى منها واستفاد من مصادره التي ذكرها في التأكد من صحة المعلومات

(12) أعلام ليبيا: 7.

(13) أعلام ليبيا 8.

واستدراك ما سها عنه أو فاته[14].

ويرى الشيخ الطاهر أن فضل النائب الأنصاري الأكبر هو ترجمته لأعلام في العهد التركي، لم يكن في الإمكان معرفتهم لو لم يترجم لهم النائب رحمه الله وأوسع له، وكما ذكر المؤلف فضل النائب وأشاد بصنيعه لم يغفل أن ينبه على ما للأستاذ محمد خليل غلبون مؤلف كتاب (التذكار) من أيدٍ جليلة كريمة في تقييده بعض التراجم التي تميزت بالتحري والتمحيص والتحقيق مثبتاً الصواب منبهاً على الخطأ الذي فيها[15].

هكذا يمضي الزاوي في منهجه العلمي القويم ذاكراً المصادر مبيناً قيمتها ومقوماً ما فيها من المعلومات من ذلك (مختصر تاريخ البرموني) الذي نقل منه بعض التراجم للأعلام الذين ذكرهم في معجمه، وبيَّن أنه قد استفاد من مختصر كتاب البرموني معلومات عن بعض القبائل العربية، وقد عزا الزاوي الفضل للأستاذ العالم عمر النعاس الذي تكرم عليه فمكنه من الاطلاع على هذا المختصر، وقد طلبه الشيخ الزاوي وهو مقيم في مصر فأرسله إليه مع بعض أحفاده سنة 1955، فلما قضى الزاوي وطره منه أعاده إلى صاحبه[16]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

هذا ومما كلف الزاوي جهداً مضنياً في تأليف هذا الكتاب أنه واجه معضلة نسبة بعض الأعلام إلى طرابلس دون أي تمييز بين طرابلس الغرب وطرابلس الشام مما يتطلب من المؤلف الحذر والحيطة والصبر والأناة والاستقصاء والتنقير وإعمال الفكر.

ونرى الزاوي في هذا الكتاب يحاول التعرض إلى أنساب بعض من ترجم لهم محاولاً ذكر صلة قبيلة المترجم له بإحدى القبائل العربية التي دخلت إفريقية سنة 442 هـ .

(14) أعلام ليبيا 9.

(15) أعلام ليبيا 8.

(16) أعلام ليبيا 9.

ولا يخفى ما في هذا العمل من مشقة ومحظور. ومضى الزاوي أبعد حيث حاول تسليط الأضواء الكاشفة على ما كان من فساد الحكم التركي في البلاد العربية، وذلك من خلال ذكره لبعض رؤساء القبائل الذين أعلنوا الثورة وتمردوا على الحكام الفاسدين وما كانوا يزاولونه من استبداد في البلاد، ولا ريب في أن هذا النوع من التراجم للأعلام لم تعن به الكتب المخصصة للتراجم، إذ كانت عنايتها الفائقة توجه لذكر العلماء، وينبه الشيخ الزاوي إلى أن هذا النوع من الرجال ما زال يحتاج إلى الدراسة والتمحيص ليفرق ما بين من كان يثور على الاستبداد والظلم والفساد وبين من كان يهب للسلب والنهب[17].

وبعد كل هذا الجهد المثمر نرى الزاوي، رحمه الله، يعلن دون مواربة أن هناك جنوداً مجهولين تقع علينا عبء الكشف عنهم، والتعريف بهم اعترافاً بفضلهم وإقراراً بدورهم وريادتهم.

هذا ما سمح به المكان والزمان عن معجم الشيخ الطاهر الزاوي للأعلام الليبية، فماذا بعد عن معجمه للبلدان الليبية أيضاً؟ الحديث عن هذا المعجم يطول ويطول، لكننا سنحاول اختصاره كغيره من الأحاديث عن باقي مؤلفات الشيخ الطاهر وتحقيقاته كتب التراث. لقد كان هذا المؤلف كما يقول المؤلف زبدة رحلات وثمرة جولات في عموم بلادنا الليبية المباركة زمن الحرب والسلم، مما أتاح للمؤلف أن يعاين ما تركه الرومان واليونان من آثار هنا وهناك، واستطاع أن يعرف الكثير عن المدن والسكان، فكان يدوِّن ما يراه ويسمعه من الثقات، ولم يكتف بهذا بل راح يفتش في الكتب المعنية لاستكمال المعلومات واستيفاء النواقص وإضافة الزوائد المتممة للفائدة المؤكدة للحقائق[18]، فمن هذه الكتب المعنية بالبلدان وشؤونها: كتاب (التبيان في تخطيط البلدان) لرأفت بك، (والمغرب في ذكر بلاد

(17) أعلام ليبيا 10.

(18) معجم البلدان الليبية 5 - 6.

إفريقية والمغرب) لأبي عبيد البكوي، و(معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي، و(معجم ما استعجم) للبكري و(مراصد الإطلاع) لصفي الدين البغدادي، وكتاب (الروض المعطار في أخبار الأقطار) للحميري، وهذا الكتاب إبان رجوع المؤلف الزاوي إليه - كان مخطوطاً لم يطبع بعد، كل ذلك إضافة إلى بعض كتب الرحلات من أمثال (رحلة أبي عبد الله العياشي)، (ورحلة ابن رشيد الأندلسي)، وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي، و(صفة بلاد المغرب) لليعقوبي، وكتاب (نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار) لمحمد بن مقديش الصفاقسي، إلى جانب بعض الكتب الحديثة التي تناولت بالدراسة البلاد الليبية أو بعضها مثل كتاب الدكتور إبراهيم رزقانه (محاضرات في تاريخ ليبيا)، وكتاب عمر رضا كحاله (معجم قبائل العرب)[19] وعني الشيخ الطاهر الزاوي بتعريف المدن والقرى تعريفاً مفيداً مختصراً غير مخل، وأرخ للمشهور منها، كما أتى على ذكر المدن الأثرية والجبال والأودية والمساجد والزوايا والمدارس والقلاع والعيون الجارية والآبار، ولم يفته أن يشير إلى ما تبقى في الصحراء من القصور الجاهلية، كما أولى عنايته ذكر الأحداث الهامة والحربية منها تلك التي وقعت في المدن والقرى، ومضى ينبه ويلفت النظر إلى الأمكنة غير المعروفة، وذكر في هذا الكتاب ما عرف من أسماء البلدان القديم والحديث، وتلك ميزة تؤكد الصلة بين الماضي والحاضر، كما تنبه إلى ما من شأنه أن يحدث بمرور الزمان من اختلاف أو تحريف أو تطور، وراح يبحث عن الأصل اللغوي لبعض الألفاظ المستعملة لدى الطرابلسيين، وبصفة خاصة ما كان منها في الشعر العامي الملحون، ولم يدّع لنفسه الكمال ولا لعمله الاستيفاء داعياً وراجياً أن يهتدي الباحثون بعده إلى أوضح وأصح وأكمل مما هداه البحث إليه[20].

(19) معجم البلدان الليبية 7.

(20) معجم البلدان الليبية 7 - 9.

وقد رأيناه يلفت النظر وينبه على الأسماء التي يظن أنها من أصل بربري، وزيادة على كل ما تقدم مضى يتتبع نسبة بعض القبائل العربية إلى أصولها الأولى ويبدو أن شغفه بالبحث وحبه للكمال - الذي تفرد به سبحانه وتعالى - قد قاده إلى أن يذكر عدد آبار البترول بليبيا، وهي أربعة وتسعون وسبعمائة بئر سنة 1965، وقد عرف مقدار ما تنتجه وإن لم يذكره في معجمه، واجتهد، رحمه الله، في تحديد المسافات بين كل بلد أو مكان، ولا ريب عندي في أنه كان بصيراً خبيراً مجرباً حلب أشطر الدهر وتغبّرها، لذا نراه ينسب الأماكن التي وثق وتأكد من صحة نسبتها إلى ملاكها الحقيقيين، ومما يسر به شيخنا المرحوم الطاهر أحمد الزاوي استعمال معجمه للبلدان الليبية ترتيبه إياه على حروف المعجم، غفر الله له وأثابه كفاء ما قدم لوطنه وأمته الموحدة الواحدة.

أما كتاب الشيخ الطاهر الزاوي (جهاد الليبيين في ديار الهجرة من سنة 1343 - 1924 إلى سنة 1372 - 1952) فإنه في نظري من أهم وأوثق ما كتب عن التاريخ الليبي الحديث بعد كتابه الذائع الصيت (جهاد الأبطال في طرابلس الغرب).

وهذا الكتاب الذي وضع فيه المؤلف النقاط على الحروف وبيّن بجلاء وبصراحته المعهودة وصدقه وإخلاص نيته كل ما يتعلق بجهاد الليبيين في ديار الهجرة، وذلك من أجل وضع الحقائق أمام الناس في الضوء الكاشف لتكون عبرة وإحقاقاً للحق وإنصافاً لمن ظلم وغمط حقه، وكشفاً لزيف وتضليل من قد يدعي ويزعم لنفسه أو لغيره ما ليس له أبداً.

ولقد بين المؤلف رحمه الله في المقدمة والتصدير أيضاً بعض ما قاساه المواطنون والوطن من جراء احتلال الفاشيست لليبيا إلى أن اقتلع حكم الإيطاليين من جذوره بعد الحرب الكونية الثانية التي أتت على الأخضر واليابس في العالم، وبذا حلت بالوطن قوة استعمارية جديدة كانت مواجهتها قدراً على الليبي حيثما كان. وقد كانت هذه القوى الاستعمارية مغايرة لما

سبقها في وسائلها وأساليبها، الأمر الذي جعل الليبي في ميدان جهاد من نوع جديد مختلف يتطلب عدة مغايرة وأساليب مختلفة، ولم يتقاعس الليبيون عن الدخول في ميدان الجهاد كعادتهم دائماً، متذرعين بالإيمان والصبر والأمل، وساعين بالفطنة والحنكة واليقظة والمثابرة على العمل الجماعي الجاد الهادف.

نعم لقد كان الليبيون في المهاجر عند حسن الظن بهم، إنهم لم يهاجروا طلباً للراحة أو فراراً من الموت ولكن البغي والباغي اضطرهم إلى الهجرة بعد أن نفد ما بأيديهم من عدة وعتاد، وهكذا فإنهم لم يخلدوا للراحة، ولكنهم باشروا النضال بالوسائل الجديدة المتاحة منذ هبوطهم أراضي المهاجر في الشرق والغرب، فاندفعوا للعمل بكل ما أوتوا من قوة محافظين على كيانهم المميز حتى لا يذوبوا في أهل البلاد التي انتهى بهم المطاف إليها مهاجرين، تلك البلاد العربية والإسلامية التي استضافتهم وأكرمت نزلهم ومثواهم، ومن يومهم ذاك باشروا السعي الحثيث في ميدانين اثنين.. ميدان العمل الشريف لكسب القوت اليومي، وميدان الكفاح من أجل القضية المقدسة، قضية الوطن شغلهم الشاغل في الظعن والإقامة في الحضر والبادية، وقد وجدوا ما أعانهم في هذا السبيل من البلاد التي استضافتهم من بر وحسن معاملة وكرم ضيافة فمضوا يكدحون لتحقيق غاياتهم النبيلة. وقد حققوا بفضل الله ما حققوه من مكاسب لأنفسهم في الحياة وللوطن بشرف وعرق جبين.

كل هذا نعلمه من هذا الكتاب وبعبارة المؤلف الجلية والواضحة الأخاذة من غير مبالغة أو تهويل. ومضى الزاوي، رحمه الله تعالى، يكشف بأضوائه الكاشفة ما كان للمهاجرين من نضال في سبيل القضية التي ظلت تشغل بالهم وتسيطر على إحساسهم وتملك تفكيرهم وهي القضية الليبية قضية وجود الوطن والمواطن على السواء.

ولم يغفل المؤلف أن يسجل في كتابه ابتهاج المهاجرين بطرد

الإيطاليين الفاشيست بعيد اندحارهم في الحرب ضد الخلفاء، وذلك بإقامتهم حفلاً مشهوداً في الجمعية الزراعية في مصر سنة 1943، نظمته وأشرفت عليه ورعته الجمعية الطرابلسية، وبين أن هذا الاسم هو الذي أطلقه المهاجرون على الجماعة التي عنيت في مصر بأمر القضية الليبية، وقد كانت برياسة المرحوم السيد أحمد السويحلي، وأصبحت تلك اللجنة من يومها معروفة بهذا الاسم[21] الجديد، ومضت تحته تواصل جهادها في سبيل استقلال ليبيا ووحدة أراضيها، وذلك منذ سنة 1943، ثم عرج الزاوي على ذكر مبادىء هذه اللجنة الطرابلسية، كما بيّن رأيها في قضية الوحدة للأراضي الليبية وما قدمته في سبيل الاستقلال والوحدة التي ظلت الجمعية الطرابلسية مصرَّة عليها متمسكة بها لا تحيد عنها. مؤكدة في كل مناسبة إيمانها بالوحدة بدون قيد ولا شرط باذلة كل ما استطاعت في سبيل هذه الغاية الشريفة النبيلة التي أجمع عليها المواطنون قبل أن يلبس عليهم وتزيف رغباتهم.

بقي أن نقول في هذه الكلمة السريعة عن هذا الكتاب إن كتاب الزاوي (جهاد الليبيين في ديار الهجرة) سِجِلٌ أمين وافٍ لما كان يجري في الضوء والظلام قبيل استقلال ليبيا، وفي إمكان القارىء أن يقف على كثير من الخفايا والدسائس والمؤامرات التي كان يحيكها الاستعمار ويتولى تنفيذها عملاؤه الأصفياء «الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم».

وبعد فعلينا أن نحمد للتاريخ الأمين ما دأب على تسطيره وحفظه في صفحاته مما فيه عبر لمن يعتبر، وإشادة بفعل المحسن وخزي وعار للخونة والعملاء في كل زمان.

هذا عن جهود هذا المجاهد العالم المؤرخ فيما يتعلق بكتابة التاريخ الليبي قديمه وحديثه، ونختمه بالإشارة إلى كتابه الذي ذكر فيه ولاة طرابلس الغرب من أول الفتح الإسلامي العربي إلى نهاية العهد التركي، مشيراً إلى

(21) جهاد الليبيين في ديار الهجرة 15 - 16.

من تعاقب على حكم طرابلس من حكام من أجناس بشرية ثلاثة. . العرب والبربر والترك، وقد بيَّن ما يمتاز به كل جنس من هذه الأجناس كما مثلها الحكام والحكومات المتعاقبة في مدة تزيد على ألف وثلاث مئة سنة، وفي هذه قد يختلف مع الشيخ الطاهر كثيرون، إذ إن الحكم على الجنس أو الأمة المستخلص من الحكم على الفرد منها قد يدخل في دائرة التعميم المؤدي إلى بطلان النتائج المتوخاة، وكثيراً ما قاد هذا إلى الأخطاء التي كان يمكن تجنبها.

وبعد أن تحدثنا عن مؤلفات الشيخ المرحوم الطاهر أحمد الزاوي المتعلقة بالتاريخ الوطني التي عرفناها وزادتنا معرفة بالشيخ، لا يحسن أن نغفل الإشارة الآن إلى مجموعة الفتاوى التي اصدرها الشيخ الطاهر يوم أن كان مفتياً للديار الليبية، وهذه الفتاوى عبارة عن الإجابات التي أجاب بها الشيخ الطاهر عن الأسئلة التي وردت إليه وهو بدار الإفتاء في طرابلس، وقد تناولت عدداً من القضايا التي كانت تشغل سائليها أو يتلجلج في صدورهم شيء منها، فتوجهوا إلى فضيلته، رحمه الله، طالبين حكم الشرع الذي تستريح إليه النفوس وتطمئن. فلم يأل الشيخ جهداً، وقام، رحمه الله، تعالى فحمل الأمانة على ثقلها، وأفتى السائلين مجتهداً ما وسعه الاجتهاد اعتماداً على القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال العلماء الراسخين والسلف الصالح مصابيح هذه الأمة الموحدة، وأرى أن الوقت قد حان الآن للحديث عن كتب التراث.

لعل أول كتاب من كتب التراث التي نالت عناية الشيخ الزاوي وأعدها للنشر هو كتاب تاريخ أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي الذي سماه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار».

جمع ابن غلبون في هذا السفر كل ما عرفه مما يتعلق بطرابلس الغرب من أخبار، وما توالى على حكمها وامتلاكها من دول، وما كان قد وقع فيها من حروب وانتفاضات ضد الطغيان والجور منذ أن عمرت بالإسلام إلى

أواسط أيام حكم أحمد باشا القره مانلي[22].

ومن مميزات هذا الكتاب التراجم التي سطرها المؤلف ابن غلبون فيه، وهي تراجم كثيرة للعلماء الطرابلسيين، كما لم يغفل المؤلف ذكر الكثير من المواقع والأمكنة والبلدان وتحديدها، على أن المؤرخ ابن غلبون كان قد وضع كتابه شرحاً للقصيدة التي دفع بها الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي الذم والانتقاص اللذين رمى بهما طرابلس أبو عبد الله محمد بن علي بن مسعود الشهير بالعبدري صاحب الرحلة المعروفة باسمه إلى الحج[23].

بقي هذا التاريخ مطموراً بين الكتب في رفوف أو صناديق المكتبات مدة قرنين من الزمان لم يلتفت إليه أحد، ولم ينل من العناية التي يستحقها شيئاً، إلى أن قَيضَ الله تعالى له الشيخ الطاهر الزاوي أيام أن كان بالأزهر الشريف طالب علم، وذلك سنة 1348 هـ، فدعاه شغفه بالعلم وحبه لوطنه إلى البحث والاتصال برجالات العلم في أرض الكنانة، وشاء الله تعالى أن يعثر على هذا التاريخ لدى علامة عصره المغفور له أحمد تيمور باشا، إذ كانت لديه صورة فوتوغرافية من هذا الكتاب عن أصل مخطوط يرقد في المكتبة الوطنية في باريز[24].

واستعار الشيخ الطاهر تلك الصورة الفوتوغرافية من المرحوم أحمد تيمور وانكب عليها قراءة، ثم استأذنه بعد ذلك في نسخ صورة منها، ومضى بعد ذلك الكتاب للنشر عن هذه النسخة الوحيدة مستعيناً بما في كتب التاريخ على تقويمها وتصحيحها، ثم نشر الكتاب في حلته الجديدة في القاهرة وللمرة الأولى بواسطة المكتبة السلفية ومطبعتها الشهيرة، للمرحوم صاحب الأفضال والأيدي الحميدة الكريمة المعتز بالله محب الدين بن الخطيب

(22) كتاب التذكار «التعريف بتاريخ ابن غلبون».
(23) كتاب التذكار «التعريف بتاريخ ابن غلبون» معجم أعلام ليبيا: 53.
(24) كتاب التذكار «التعريف بتاريخ ابن غلبون».

الحسيني سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة المباركة. وسرعان ما نفد الكتاب من السوق وأصبح نادراً عزَّ على كثير من المهتمين وجوده، إلى أن يسر الله سبحانه أسباب طبعه لمحققه الشيخ الطاهر للمرة الثانية، بعد أن أعاد المحقق النظر فيه واستكمل ما كان فيه من نقص بفضل ما تيسر له وأتيح من الاطلاع على المصادر التاريخية الكثيرة التي لم تكن بيده أول مرة، وكذلك بعد أن تمكن من الاطلاع على نسخة للكتاب مخطوطة، كانت محفوظة بخزانة مكتبة الأوقاف بجامع سيدي حمودة الذي أصبح أثراً بعد عين في ميدان الشهداء بطرابلس.

وتمتاز هذه الطبعة الثانية لكتاب التذكار بأنها قد صارت أكمل وأوثق، حيث إن شيخنا الزاوي قد استدرك ما فاته أو سها عنه في طبعة الكتاب الأولى، وقد نبه على كل ذلك كديدنه دائماً، عليه شآبيب الرحمة والرضوان كفاء ما قدم لأمته والتراث، وقد تولت مكتبة النور بطرابلس نشره في هذه الطبعة الثانية المنقحة سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة المباركة.

وأما كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر فقد تعاون على نشره محققاً المرحومان العالمان الشيخ الطاهر أحمد الزاوي والأستاذ محمود محمد الطناحي، وقد طبعته لهما دار إحياء الكتب العربية الشهيرة في عالم نشر التراث والكنوز من مؤلفات الأجداد، وهي ملك للمرحوم عيسى البابي الحلبي وشركاه، وكان نشر الكتاب في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من هجرته المباركة ﷺ.

هذا وقدم المحققان الثبتان لهذا الكتاب النفيس في هذه الطبعة الأولى المحققة بما يغني ويزيد، ولم يغفلا أن يستعرضا في مقدمتهما جهود العلماء السابقين الذين عنوا بالتأليف في هذا الفن أي شرح غريب الحديث الشريف، وذلك منذ بداية التأليف في هذا الفن المبارك، وقد كانت بدايات التأليف فيه بداية متواضعة كما تقضي بذلك نواميس الحياة، وذلك على يدي أبي عبيدة معمر بن المثنى، إلى أن وصلت ما وصلته من الشمول والعمق والدقة على

يدي مؤلف النهاية نفسه ابن الأثير الجزري، ولم يغب عن المحققين رحمهما الله أن يلفتا الأنظار إلى مدى ما استفاده ابن الأثير من مؤلفات العلماء الذين كتبوا في هذا العلم قبله، وإن كان ابن الأثير قد أربى عليهم، الأمر الذي أحل كتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر» المنزلة الرفيعة، والنهاية التي يمكن أن يتوق إليها أفذاذ رجال هذا العلم[25]. ومضى المحققان في الحديث عن ابن الأثير وكيف أنه لم يكتف بالمادة اللغوية كما قد يتوقع البعض في شرحه لغريب الحديث والأثر للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، بل لقد تعدى ذلك إلى مناقشة المسائل الفقهية، ومحاولاً جهده التوفيق بين الأحاديث التي تبدو ظاهرياً متعارضة، كل هذا بتركيز وإيجاز غير مخل، حتى ليبدو وكأنه لم يشأ أن يترك قولةً لقائل في هذا الميدان[26].

وهكذا فقد توقفت جهود المجتهدين من أرباب هذه الصناعة والعلماء من بعده عند التذييل والاختصار لكتاب ابن الأثير «النهاية في غريب الحديث والأثر» كما يقول المحققان. ولقد شغف العلماء بهذا الكتاب وطار ذكره بينهم الأمر الذي حدا بأبي الفداء إسماعيل بن محمد الحنبلي إلى أن ينظمه شعراً[27].

وتعد النهاية في غريب الحديث والأثر من الكتب المحظوظة، فقد هيأ الله تعالى جدُّه، لها عالمين من متمرسي التحقيق الذين أحبوا التراث وحدبوا عليه وانقطعوا للعمل في ميدانه دراسة وتحقيقاً، ونشر النفع للناس وإثراء الحياة الفكرية. وكان المحققان من التواضع والأمانة العلمية في المنزلة اللائقة بهما كعالمين، حيث مضيا ينبهان على الطبعات السابقة للنهاية، بيَّنا

(25) النهاية في غريب الحديث والأثر 1: 3 - 7.

(26) النهاية في غريب الحديث والأثر 1: 7 - 8.

(27) النهاية في غريب الحديث والأثر 1: 8.

أنهما قد اتخذا من الطبعة العثمانية التي ظهرت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف هجرية أصلاً إلى جانب مخطوط واحد من النسخ الخطية الكثيرة الموجودة من كتاب النهاية بدار الكتب المصرية العامرة، كما أوضحا أنهما قد استفادا الشيء الكثير من التقييدات، وما يوجد بين النسخ من فروق كانت مثبتة بهامش هذه الطبعة العثمانية[28]. كما كان المحققان حريصين على أن يعزوا كل شيء إلى مكانه وأهله كما يقضي بذلك المنهج العلمي والأمانة التي عرف بها المحققان في جميع أعمالهم، كما أثبتا أيضاً أنهما قد اعتمدا في التحقيق على نسخة خطية لكتاب الغريبين للهروي وقد كانت محفوظة هي الأخرى بدار الكتب المصرية، وتتكون من ثلاثة مجلدات تحت رقم (55 لغة تيمور) وذلك إلى جانب الفائق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري، مع اعتبار ما جاء في معجم لسان العرب للعلامة جمال الدين ابن منظور نسخة من النهاية لابن الأثير، وأثبتا ما كان بينهما من فروق، مع اعتبار ما جاء من أحاديث في معجم تاج العروس للزبيدي[29]، وهو المعجم الذي جمع أجلّ ما في النهاية من أحاديث.

هذا وإن من ينظر في هذا الكتاب في نشرته المحققة العلمية هذه يدرك الجهد الذي بذله المحققان الثبتان، رحمهما الله تعالى، وذلك ليضعا بين أيدي العلماء والطلاب هذا الكتاب النفيس مضبوطاً سليماً من الأخطاء، وفي الحلة التي تليق بمثل هذا العلم الشريف، أجزل الله تعالى لهما الثواب.

وهذا عمل كبير جليل آخر وليس الأخير من أعمال العلامة الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، تحمل أعباء النهوض به وحده متطوعاً خدمة للعلم وأهله، وهو «ترتيب القاموس المحيط» على طريقة المصباح المنير للفيومي وأساس البلاغة لجار الله الزمخشري رحمه الله تعالى.

---

(28) النهاية في غريب الحديث الأثر 1: 19.

(29) النهاية في غريب الحديث والأثر 1: 8.

والقاموس المحيط كما لا يخفى على العلماء من أصح المعاجم التي تم وضعها في لغة الضاد من حيث النقل والسعة في المواد اللغوية، وقد حفل به وأشاد علماء اللغة في كل زمان وأحلّوه المنزلة الرفيعة اللائقة به، ويتجلى بعض هذا فيما وضع له من شروح واستدراكات وتعليقات، ورغم هذا فقد ظل هذا المعجم في هذا العصر المتأخر بعيداً عن الدخول في ميدان الاستعمال من طرف الشداة خاصة اللهم إلا ما ندر، وذلك بسبب ما اختار له مؤلفه من ترتيب للكلمات على الحروف الأصلية، والضرب صفحا عن الزوائد من الحروف، وزاد من صعوبة استعمال هذا المعجم القيِّم أن المؤلف لم ينته عند حد الترتيب على الحروف الأصلية للكلمة وإهمال الزوائد بل زاد على ذلك أن جعل المواد اللغوية في القاموس مرتبة على آخر حروف الكلمات، وهو ما يجعل التمييز بين الحروف الأصلية والزوائد عسيراً على المبتدئين وغير المتخصصين[30]. هذا ما استشعره المرحوم الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، فندب نفسه الكريمة المعطاءة للقيام بهذا العمل الذي ناءت به العصبة وتجنبته الجماعة، وهكذا فقد استطاع بتوفيق من الله وبما أوتيه من علم وإيمان وصبر ودأب أن يبعث الحياة زخّارة في هذا المعجم العربي، فأصبح في ميدان العمل العلمي اليوم بين أيدي الطلاب والعلماء على السواء، وأصبح استعمال هذا القاموس المحيط سهلاً ميسوراً أغنى الكثيرين عن اللجوء إلى غيره من المعاجم العربية القديمة والحديثة، ولقد سلخ الشيخ الطاهر الزاوي من عمره في هذا العمل المضني عشرين حولاً، لعل مؤلف القاموس الفيروزابادي لم يستغرقها في تأليف معجمه.

ومما يدعو للإكبار أن الشيخ الطاهر الزاوي لم يكتف بهذا الجهد الذي بذله في ترتيب القاموس المحيط على الحروف الأصلية، ولكنه أراد للطلاب ولأوائل الشداة أن يستفيدوا من هذا المعجم الزخار علماً ولغة، فمضى

(30) ترتيب القاموس المحيط 1: المقدمة.

يختار من هذا القاموس الكبير الواسع معجماً صغير الحجم يسير الحمل كثير الفائدة ينجد الملهوف ويسد حاجة المتعجل ويزوده بما يحتاجه، وربما أغراه بالعودة إلى القاموس المحيط الكبير، وهكذا أصبح هذا المعجم في أيدي الطلاب وفي المدارس والبيوت وفي المكاتب أيضاً، هذا وقد طبع مختار القاموس المحيط مرات عديدة نظراً للحاجة إليه والإقبال عليه، وقبله كان قد طبع ترتيب القاموس المحيط في أربعة مجلدات كبار، كانت الطبعة الأولى بواسطة مطبعة الاستقامة بالقاهرة وذلك سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.

رحم الله الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، ورحم كل الذين مضوا معه من إخوانه وأصدقائه الذين ساهموا معه بأموالهم ونصحهم وحدبهم، حتى يرى هذا المعجم العربي الشائق النور في ترتيبه البديع الجديد وبثوبه القشيب الجذاب، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وهذا كتاب آخر من كتب التراث العربي التي أولاها شيخنا المرحوم الطاهر الزاوي كريم عنايته، أعني كتاب الكشكول وما أدراك ما الكشكول! للعلامة الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة إحدى وثلاثين بعد الألف من الهجرة الميمونة.

يعد كتاب الكشكول من أفضل ما كتب في الأدب العربي حيث جمع ضروباً من الفنون الأدبية ورقيق الأشعار وطريف الأخبار ما لم يضمه مؤلف غيره، وذلك بفضل ما امتاز به مؤلفه بهاء الدين العاملي من سعة علم وشمول معرفة ورحابة أفق وصفاء طبع وسمو ذوق، وهذا ما جعله يتخير مادة كتابه فجاءت أمشاجاً تروق نفس القارىء وتسرِّي عنه من الهموم كما تريح قلب المكلوم، وقد تمكن العاملي من أن يتجنب ما أورده في كتاب المخلاة قبله، وهذا، لا ريب، ميزة تميزت بها الذاكرة الفذة للعاملي، فإنك لا تكاد تقف في الكشكول على شيء مما جاء به في كتابه المخلاة.

هذا وقد رأينا عالمنا الشيخ الطاهر يعتمد في نشره وتحقيقه لهذا الكتاب

على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف هجرية، ومضى يقابلها على النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية، ويثبت ما كان بها من زيادات ويصلح ما وقع من الأخطاء، وزاد فرتب كتاب الكشكول، ووضع له أرقاماً تميز ما كان من التداخل بين المواضيع والفقرات، كما أزال بعض ما في الكلمات من الإبهام، حيث ضبط مواضع الاشتباه بالحركات، فلم تعد مواضيعه ولا معانيه غائمة ولا غامضة بل سهلة واضحة مستقيمة.

ولم يخل كتاب الكشكول من التعليق كلما كانت هناك حاجة لذلك، وبما لا يثقل النصوص أو يصرف القارىء[31]. كذلك رأينا المحقق ينبه على ما كان بين النسخ من الاختلاف، ويضع العناوين لكثير من المواضيع في الكشكول وقد كان خلواً منها، ولم يغفل المحقق عن الفهارس التي تيسر الانتفاع من الكتاب، وهي وإن لم تكن وافية وشاملة كما اعتاد أن يصنع كبار محققينا، فهي مساعدة ومنجدة إلى حد ما.

وبهذا ظهر هذا الكتاب ولأول مرة إلى القراء كاملاً غير ناقص في طبعة أنيقة فاخرة مضبوطة، وضم ما كان مفرقاً بين النسخ من الزيادات التي تعادل ثلث الكتاب. أما نشر هذا الكتاب فقد تولته دار إحياء الكتب العربية للسيد عيسى البابي الحلبي الذائعة الصيت وشركاه، سنة ثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، وجاء الكتاب في جزئين كبيرين.

ديوان البهلول: وهذا سفر فريد من كتب التراث العربي الليبي، وهو ديوان الفقيه المحدث العالم الشهير والشاعر الصوفي سيدي أحمد البهلول بن حسين، وكان مولد هذا الشيخ بطرابلس الغرب، رحل البهلول إلى مصر طلباً للعلم فتلقى على جلة من علماء الأزهر آنذاك من أمثال الشيخ أحمد البشبيشي والشيخ محمد الخرشي، والعلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني

(31) الكشكول (المقدمة) 1: د، هـ.

المتوفى سنة تسع وتسعين وألف هجرية، وغير هؤلاء من السادة العلماء الذين تصدروا للتعليم في الأزهر الشريف ذلك الزمان. . . ممن كانت تشد إليهم الرحال، رحمهم الله ورحم تلك الأيام النضرة. عن أولئك أخذ البهلول اللغة والنحو والصرف والأصول والقراءات والزهد والتصوف قبل أن يعود إلى مسقط رأسه طرابلس. واشتغل البهلول بعد عودته بإفشاء العلم، فأخذ عنه الجمع الغفير في المشرق والمغرب[32]، وقد كانت وفاته، رحمه الله، في بلده طرابلس الغرب ليلة السبت الثاني من شهر رجب الأصم سنة ثلاث عشرة ومائة وألف هجرية[33].

هذا وديوان شيخنا أحمد البهلول الذي عني الشيخ الطاهر الزاوي بإخراجه محققاً للناس، هو تخميس للقصيدة العياضية. أما عمل الشيخ البهلول فإنه يتلخص في إضافة ثلاث شطرات لكل بيت من أبيات القصيدة العياضية، وبذا صار البيت من القصيدة العياضية يتكون من خمس شطرات: الثلاث الأولى من تخميس البهلول والاثنتان الأخريان من العياضية.

هذا وقد جعل الشاعر العشرة الأبيات الأولى من قافية كل حرف غزلاً في محبه، وأما العشرة الأخيرة فقد جعلها مدحاً في النبي محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم. هذا على أن شاعر العياضية قد التزم بأن يبدأ كل بيت من أبيات القصيدة بحرف القافية وأن يختمه بها، لكن شيخنا أحمد البهلول لم يلزم نفسه بشيء من هذا، واكتفى، أوسع له الله، بأن بدأ تخميس البيت الأول من القافية بحرف القافية. وقد جاءت القصيدة محكمة النسج واضحة العبارة، والألفاظ سليمة لا عيب فيها الأمر الذي يجعل التمييز بين الأصل والتخميس عسيراً على الكثيرين.

أما الشيخ الطاهر الزاوي فقد بذل غاية الجهد المحمود في تحقيق هذا

(32) أعلام ليبيا: 72 وديوان البهلول المقدمة، (ومعجم المؤلفين).

(33) أعلام ليبيا: 73.

الأثر النفيس وإخراجه مبرّأً من العيوب سليماً من المأخذ، فشكل ألفاظه وشرح غوامضه وذلل بذلك كثيراً من الصعاب التي كانت تحول بين القراء والاستفادة من هذا الأثر الأدبي الخالد، وغير خاف ما كان من الصلة الوثقى بين هذا الأثر وبين العامة من الناس وخاصتهم من الليبيين على وجه الخصوص. فإن الناس في بلادنا يعكفون على قراءته في شهر ربيع الأول حيث مولد النبي عليه الصلاة والسلام في اليوم الثاني عشر من ذات الشهر الأنور، وقد كانت مساجد هذه المدينة البيضاء قديماً تعمر به[34].

وقد سبق أن طبع ديوان البهلول قبل هذه الطبعة المحققة ثلاث مرات، طبع في بومباي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف هجرية. وطبع في مصر مرتان الأولى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، والثانية سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية.

وقد تولت طبع هذه النسخة المحققة من الكتاب مكتبة القاهرة سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية.

ومما يلاحظ أن الشيخ الطاهر الزاوي المحقق لهذا الديوان قد أغفل الحديث عن الأصول التي اعتمدها في تحقيق هذا الأثر العلمي الأدبي، النفيس خلاف ما اعتاده في تحقيقه لكتب التراث، وهو ما يرجح الظن بأنه قد اعتمد في تحقيقة لهذا الديوان على النسخ المطبوعة، التي سبقت الإشارة إليها والتي لم تحقق من قبل.

وهذا الكتاب أيضاً من كتب التراث العربي الإسلامي الليبي وأعني به كتاب «الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس» إمام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه، هذا الكتاب عبارة عن منظومة فقهية في المسائل وبعض الفروع، مع اشتماله على جميع أبواب الفقه التي يحتاجها المسلم في حياته الدنيا، فأغنى بها المؤلف المرحوم الشيخ الفقيه الأصولي

(34) أعلام ليبيا: 73.

محمد الفطيسي وسد بها حاجات المرء في العبادات والمعاملات.

قدم المحقق الشيخ الطاهر أحمد الزاوي للكتاب موضحاً كيف عثر على هذه المنظومة بطريق الصدفة، وأن النسخة التي اعتمدها في التحقيق تعود ملكيتها إلى الشيخ رحومة الصاري، وكان هذا قد قابلها على النسخة التي هي بخط المؤلف نفسه، وهي كما قال المحقق مشكولة في أغلبها شكلاً صحيحاً، وأما عمل الشيخ الطاهر الزاوي فإنه يتلخص في ضبط غير المضبوط من الألفاظ، وإضافة بعض العناوين التي رأى من المفيد إضافتها، كما لم يغفل عن التعريف بالمؤلف، حيث ترجم له ترجمة مختصرة ذكر في أثنائها ما للفطيسي من مؤلفات تدل على نشاطه وغزارة علمه.

والشيخ الطاهر الزاوي إذ يقدم لنا هذا العمل الجليل إنما يطوِّق أعناقنا بمنةٍ أخرى، حيث يضع بين أيدينا عملاً من أعمال ذوينا الأثيرة عندنا، يتردد اسم مؤلفه بين الخواص والعوام، ويضرب به المثل، ولا يعرف له من الأعمال العلمية ما يركن إليه لتزداد المعرفة به، وقد نشر المحقق هذا الكتاب في مصر حيث تولت دار الاتحاد العربي للطباعة نشره، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية.

وهكذا مضت أعمال شيخنا التراثية تتوالى وتتلاحق وكأنه يسابق السنين العجاف المجدبة بها، وذلك على الرغم من ازدحام المشاغل وثقل السنين التي يجرها وئيداً وبخطى ثقيلة، وقد قدر أن تكون النفوس الكبيرة تعباً وبلاء على الأجسام كما يقرر أبو الطيب رحمه الله. وها هو الشيخ الطاهر رحمه الله يتحفنا بهذا الكتاب محققاً مشروحاً مذلل الصعاب، والكتاب هو.. «الدرر المبثثة في الغرر المثلثة» وهو من تأليف العالم اللغوي المعجمي مجد الدين الفيروزابادي المتوفى سنة سبع عشرة وثمانمائة هجرية.

والفيروزابادي أشهر من أن يعرَّف، فقاموسه المحيط لا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة بعد تهذيبه وتحقيقه، إذ هو من أشهر معاجم العربية وأغناها وأوثقها، الأمر الذي لفت أنظار العلماء إليه وأهله لعنايتهم الفائقة، التي

تجلت في الانكباب على شرحه ونقده والاستدراك عليه.

التقط الشيخ الطاهر الزاوي كتاب «الدرر المبثثة في الغرر المثلثة» من بين أكداس المخطوطات التي تعمر بها دار الكتب المصرية، فقرأه ونسخه وأتم مقابلته على نسختين من النسخ الموجودة بنفس دار الكتب المصرية، وقدم للكتاب بمقدمة قصيرة، ومضى يشرح مقدمة المؤلف للكتاب وعنوانه. وقد أحسن المؤلف صنعاً بشرحه مقدمة الفيروزابادي، حيث كانت هذه المقدمة المكتنزة بحاجة إلى من يشرح غامضها ويبين عويص ما اشتملت عليه عباراتها، ولا يغيب على المنصف الجهد الذي بذله الشيخ الطاهر، رحمه الله تعالى، في سبيل تذليل جمله الصعاب للشداة الذين ليس لهم طاقة على التفتيش في بطون المعاجم اللغوية الكبيرة والغنية، وتم بتيسير من الله تعالى نشر هذا الكتاب الشائق النفيس بواسطة الدار العربية للكتاب، وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية.

ويأتي ختام هذا الحديث عن أعمال شيخنا المجاهد العالم المؤرخ الطاهر أحمد الزاوي المتعلقة بتسطير التاريخ الوطني الليبي العربي وتحقيق التراث، يأتي عن الجزء الثاني من كتاب أحمد النائب الأنصاري، المسمى «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب» أرخ الأستاذ أحمد النائب الأنصاري - الذي كان عضواً بالمجلس الإداري لبلدية الأستانة - لفترة هي من الفترات الصعبة التي مرت على هذا الوطني الليبي العربي الصامد دائماً، ولولا جهود هذا المؤرخ لضاع علينا الكثير مما حفظه في هذا الكتاب. ومن الجدير بالذكر أن الجزء الأول من هذا التاريخ قد سبق نشره في حياة مؤلفه، حيث طبع في الأستانة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة المبرورة. وحتى قريب لم يكن هذا الكتاب متاحاً للقراء إذ إنه قد نفد وأصبح من النوادر شأنه شأن المخطوط من الكتب، إلى أن يسر الله، جلت قدرته، الأمر للكتبي الشهير والمربي المفضال الأستاذ محمد الفرجاني، الذي تقر بفضله وتحمد أياديه أجيال عديدة من المثقفين والقراء والشداة للعلم في هذا

البلد الأمين إن شاء الله، فقد جلب الكتب والمجلات والصحف، ويسر لمن يريد القراءة والمعرفة اقتناءها بالأسعار الزهيدة، وأحياناً بلا ثمن، وذلك يوم أن كانت الكتب والصحف والمجلات عزيزة وأمنية المتمني، بارك الله له في العمر، وأسبغ عليه ثوب العافية والنعمة، فلم يزل عند حسن الظن، ولم يزل جندياً من جند التربية والثقافة والتعليم في هذا الوطن.

نهض المربي الاستاذ محمد الفرجاني فنشر هذا الجزء الأول من الكتاب عن طبعته الأولى، وعلى الرغم من أنه كان بدون تحقيق إلا أنه قد سد عوز الباحثين، وأما الجزء الثاني من هذا التاريخ فقد، كان معروفاً، ولكن الأيدي لا تصل إليه إذ أن وفاة المؤلف رحمه الله، حالت دون نشره، وظل مجهول المكان إن لم يكن في عداد المفقودات من تراث هذا البلد، إلى أن عني به المغفور له الشيخ الطاهر الزاوي، وقد هداه البحث إلى العثور على نخسة مخطوطة فانتسخها، وأصبح الكتاب تحت يده منذ سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية كما جاء في المقدمة التي صدر بها الجزء الثاني من الكتاب.

يبتدىء هذا الجزء الصغير من كتاب أحمد النائب الأنصاري المسمى «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب» بأول عهد الوزير أحمد راسم باشا الذي تم تعيينه والياً لطرابلس سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية. ضم هذا الجزء الثاني بعض الحوادث التاريخية وصفة بعض البلدان، ونحواً من سبع وستين ترجمة لعلماء ليبيين لم يعرف عنهم شيء، وقد أشرف الشيخ الطاهر على نشر الكتاب، وصحح ما كان به من أخطاء، وعلق على ذلك في هوامش يسيرة، ثم تولت نشره دار مكتبة الفرجاني، وطبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ثمانين وثلاثمائة وألف، وبنشر هذا الجزء من المنهل العذب أصبحت المعلومات القيمة التي يحويها عن ليبيا تحت تصرف الدارسين والمعنيين بتاريخنا الوطني.

وبعد فإن الحديث عن الشيخ العالم المجاهد المؤرخ الطاهر أحمد

الزاوي وأعماله محبب وشائق ومليء بالعبر والعظات، وهو من الغنى والتعدد بحيث يحتاج الحديث عنه إلى أبحاث في كل جانب ومنحى، وأرجو أن أكون بهذا الحديث المقتضب قد أديت بعض ما للشيخ المجاهد من حق علينا نحن أبناء هذا الوطن، وحسبي أنني قد قصدت لفت أنظار شبابنا المتطلع إليه ليتخذ منه القدوة في الإيمان والصبر والجهاد والصمود والشجاعة والزهد.

تقديم الكتاب

للأستاذ عبد الرحمن عزام

أما بعد فقد سألني مؤلف هذا الكتاب أن أقدم له بكلمة. وأول ما خطر لي هو شكر المؤلف على المجهود الذي بذله ليضع أمام الناس صوراً من الجهاد المقطوع النظير في العصر الحديث الذي قام به إخواننا الطرابلسيون في وجه أمة مستعمرة بغت عليهم، وتكاثرت بعدتها وعديدها.

وليس الجهاد الطرابلسي هو صورة مما تتركه العقيدة الإسلامية في نفس المسلم من إباء الضيم وطلب العزة وحب الحرية فحسب، بل هو أيضاً مظهر لما كمن في النفس العربية ولازمها من الشجاعة والصبر والاعتداد بالنفس. ففي إحدى وعشرين سنة لم ينقطع الجهاد فيها ما بين حدود مصر وتونس في وجه هذه الدولة العظيمة ظهرت آيات بيّنات لما تستطيع القلة في العدد والعدة أن تفعله إذا آمنت بالله واحترمت نفسها وأبت أن تسام الخسف في سبيل الرضا بالأماني التي طالما منّى بها المستعمرون فرائسهم الواقعة بين أيديهم.

وكلّما فكرت في تعليل هذه الآيات البينات ملكتني الحيرة، حتى إذا ما ذكرت كلمة جاءت عفواً على لسان زعيم أُمي من الأعراب لأحد القواد الطليان في مجلس كان بيننا شعرت أنني وضعت يدي على سر هذه الآيات.

كنا يوماً مجتمعين للفصل في نزاع شجر بين ضابط طلياني وضابط بدوي من فرقة المرحوم عبد العاطي الجرم. وكانت المناقشة لتسوية المسألة بيني وبين الجنرال ترديتي، فقطع عبد العاطي علينا الحديث وقال: «اسمع يا ترديتي إن هذا الرجل ـ يعنيني ـ جاءنا وقد جربناه وصدّقنا بإخلاصه ورجحان عقله، وعلمنا معرفته للأمور أكثر منا فتبعناه، وقد قال لنا إنه صالحكم على الحرية والعدالة والمساواة، ونحن والله لا نفهم كيف يمكن أن نسوّي أنفسنا بالروم ـ يقصد الطليان ـ فما أعجبنا منه ذلك، ولكننا ثقة به رضينا بما رضي. والآن ضابطكم الذي هو تننتي ـ أي ملازم ـ يأبى أن يعطي التحية العسكرية لضابط منا هو أعلى رتبة منه، فإذا ضربه لذلك فله كل الحق».

هذه العبارة ألقت في نفسي في الحال سرَّ الجهاد العظيم الذي تقدم فيه هؤلاء الأبطال إلى الموت باسمين. فإن العقيدة الراسخة المتوارثة عن أسلافهم من العرب الفاتحين جعلتهم لا يستطيعون أن يتصوروا الحياة في ظل السيادة الأجنبية. ذلك تفسير تلك المقاومة العنيفة التي دامت إحدى وعشرين سنة، والتي تبادل فيها زعامة المجاهدين بطل بعد بطل حتى كان خاتمة الأبطال وخاتمة المجاهدين في تلك البلاد العزيزة المرحوم عمر المختار شهيد الغدر وشهيد الوفاء: شهيد غدر الطليان به وقد وقع أسيراً في أيديهم طاهر الصحيفة لم يدنس تاريخه العسكري بأي جريمة ولا عمل صغير مخالف لأصول الشرف ومقتضيات المروءة. وشهيد الوفاء لأنه لما ودَّعنا في حلوان في سنة 1923 حين توجُّهه لجهاد ميئوس من نتيجته كان يقول: «ما الفائدة من العيش مهاجراً ذليلاً؟ يجب أن أعود لأموت، وأؤدي بذلك آخر حق عليَّ لله ولبلادي».

ومنذ أن فارقنا وهو يطلب الموت في سبيل الله والانتقام من أعداء البلاد، حتى لقيه بعد سبع سنين في جهادٍ أتى فيه بالمعجز، لقي الموت على حبل الطليان، وما كان أكرم أن يلقاه بالقذائف كما تمناه بين زملائه الشهداء. وليس هذا ذنبه، وإنما هي النفوس الوضيعة التي لم تدرك مقدار ما

سمت إليه نفس بطل العرب، وانحطت إلى الغدر والانتقام المرذول.

فمؤلف هذا الكتاب حين اختص شهيدنا عمر المختار به يؤدي بعض ما وجب علينا جميعاً نحو رجال عاشرناهم وأعجبنا بهم، وصار حقاً على المسلمين أن يجدوا فيهم المثل الحسن والقدوة الصالحة. وهو بذلك أيضاً قد سجل من هنا ومن هناك وقائع مبعثرة في فترة من تاريخ هذا الجهاد لولاه لبقيت مجهولة ضائعة كما بقيت إلى الآن صفحات مطوية فيها أسرار هذه المقاومة، وفيها أصدق تصوير لحقيقته.

فعمر المختار كما قلنا هو خاتمة أبطال هذا الجهاد. وما لقي الطليان منه جزاء بغيهم هو جزء مما لقوا من عقوبة البغي.

ولو أن كتاباً كاملاً أحاط بوقائع الجهاد، وأطوار السياسة، وأشخاص الرجال يجمع لنا شتات الحوادث منذ ابتدأت بالمفاجأة الغادرة لمدينة طرابلس في شوال سنة 1329 إلى أن قُتل السيد عمر ـ لأمكن لقراء العربية وغير العربية أن يستعرضوا أمام أعينهم طائفة من الجنود المجهولين والأبطال المغمورين بالنسيان ممن كانوا أعمدة هذا الجهاد، وممن مهدوا لظهور عمر المختار في الجبل. ولكان هذا الكتاب سجلاً تتصفح فيه الشعوب العربية عظمة جنسها، ويرى فيه المسلمون أثر تعاليم نبيهم محمد ﷺ. بل لرأت فيه الأمم الأخرى كيف يدفع الأحرار ثمن الحرية، وكيف يبخسون في مهرها كل غال. بل لو أن كتاباً كهذا ظهر للناس لحقَّ على الناشئة من عرب طرابلس أن يرفعوه راية لهم بين الشعوب تبقى أبد الدهر ترفع من مكانتهم وتظل ما انطوت عليه نفوس آبائهم من العزة والإباء.

فللمؤلف لا شك الفضل الأول في تنبيه الأذهان إلى تدوين الحوادث فإننا لا نعرف في تاريخ المسلمين جهاداً مشكوراً مجهولاً كهذا الجهاد.

فهذا الكتاب هو الحلقة الأخيرة من سلسلة الجهاد في طرابلس الغرب، وبطله هو بطل هذه الحلقة. ولو استطاع المؤلف أو غيره أن يصل

حلقة بحلقة حتى يتم العقد ـ لبان لنا فضل السابقين كما أظهر هذا الكتاب فضل اللاحقين. فلولا فريق اعتصم به أنور باشا في منطقة بنغازي وفتحي بك في منطقة طرابلس لما كان دور السنوسية وعلى رأسها بطل العرب والإسلام السيد أحمد الشريف السنوسي في برقة. وذلك الدور العظيم الذي كان فيه السيد أحمد مثلاً من بقية الصحابة، وقدوة للمجاهدين أخرجت عمر المختار وأمثال عمر المختار في برقة، ولما كانت تلك الحلقة من الجهاد التي أخرجت أمثال الشيخ سليمان الباروني والشيخ محمد سوف والشهيد محمد بن عبد الله البوسيفي. ولولا هؤلاء جميعاً في الغرب والشرق وثبات السيد أحمد الشريف وصبره وتدينه لما كانت نهضة سنة 1915 ولما كانت واقعة قصر بوهادي ولا واقعة القرضابية، ولا ما ترتب عليهما من ثورة عامة أنقذت البلاد كلها تقريباً من مخالب العدو بعد أن وقعت فريسة له. ولولا هذا الدور وما ولد فيه من رجال شداد ذوي عزم أمثال رمضان السويحلي والصويعي الخيتوني والمختار كعبار والمبروك المنتصر، والشيخ أحمد هويسة والمجاهد الشهيد خليفة بن عسكر، والسيد المهدي السني وغيرهم من الجنود المجهولة لما كان الدور الذي تلاه، والذي قام فيه بعبء الدفاع عن البلاد رجال يمثلون الدولة العثمانية مثل نوري باشا وإسحاق باشا، وعبد الرحمن نافذ باشا وغيرهم من الضباط الأتراك، ومثل الشهيد إبراهيم عوض[1] والشهيد عبد الحليم حمدي[2] وأحمد منصور وغيرهم من صف ضباط والعساكر المصريين الذين أدوا فريضة الجهاد مشكورين.

هذا الدور الذي استمر إلى نهاية الحرب العامة حيث كان عند انتهائها على رأس حكومة البلاد الطرابلسية الأمير عثمان فؤاد حفيد السلطان مراد والقائد الأعلى للقوات الأفريقية. وكان لي الحظ أن أكون مستشاراً لهذه

(1) استشهد بأرفلة مع رمضان بك السويحلي.
(2) استشهد بالزاوية في زمن إسحاق باشا.

الحكومة وللقيادة العليا الأفريقية وبانتهاء الحرب العامة ظهرت الجمهورية الطرابلسية. وأعقبتها في إدارة البلاد هيئة الإصلاح المركزية التي تولى رئاستها أحمد بك المريض وكان عمادها في الشرق أحمد بك السويحلي، وفي الغرب كثير من الرجال المخلصين أمثال المختار بك كعبار والحاج محمد فكيني وخالد بك القرقني وغيرهم. وقد كان للحلم وسعة الصدر اللذين تحلى بهما رئيس هذه الهيئة أحمد بك المريض الفضل في مداومتها للجهاد في وجه السنيور موسوليني وحملاته المتتابعة.

كل هذه الأدوار مهد بعضها لبعض وهيأت في برقة لظهور بطل هذا الكتاب الشهيد عمر المختار.

وإنا لنرجو أن نكون في هذه المقدمة قد فتحنا أذهان الكتاب الطرابلسيين وأبناء هذا الشعب الباسل المجاهد إلى واجبهم في التنقيب عن آثار آبائهم وإخوانهم وتسجيلها فخراً لهم ولأمتهم، ولتبقى وصمة في جباه الذين اعتدوا على بلادهم الآمنة وسلبوا أرضها، وشردوا أهلها حتى هبط عددهم في عشرين سنة من مليون ونصف إلى ستمائة ألف، كما إنَّا نرجو أن تكون بقية السيف أكثر عدداً، وأن يبارك الله في البقية فتتكاثر وتعتز، وتتحرر، وتبقى طرابلس في الأمة العربية في المكان العزيز الذي يليق بالابن الكريم البار.

عبد الرحمن عزام

التعريف بالسيد عبد الرحمن عزام

عبد الرحمن عزام: من أُسرة العزازمة، أُسرة العلم والفضل، التي تسكن حلوان جنوبي القاهرة.

وكثير من الليبيين لا يعرفون سبب مجيء السيد عبد الرحمن عزام إلى ليبيا. وهاأنذا أرويه إليهم كما وقع.

كان الأستاذ عبد الرحمن عزام طالباً في لندن.. وفي 24 يونيو سنة 1914 عقد مؤتمر وطني في جنيف، فذهب لحضوره مندوباً عن الطلبة المصريين في لندن. وفي أثناء انعقاد المؤتمر أُعلنت الحرب العالميَّة الأولى واتجهت أنظار المؤتمرين لانتهاز فرصة الحرب للعمل على استقلال مصر، وكلِّف من قِبل إخوانه الذين حضروا المؤتمر بالذهاب إلى مصر للعمل على معاونتهم مالياً ليسهل عليهم القيام بعملهم.

وبعد أن وصل إلى مصر شدد الإنجليز عليه المراقبة ففكر في الخروج منها، فأنذروه بعدم مغادرة البلاد، وأن يُثبت وجوده كل يوم في مركز البوليس. وأخذ يتحين الفرص للخروج من مصر والالتحاق بالأتراك أعداء الإنجليز، والعمل معهم لتخليص مصر من الإنجليز.

وفي ديسمبر سنة 1915 تمكن من الهرب إلى حدود مصر الغربية. وهناك التحق بالأتراك الذين كانوا مع السيد أحمد الشريف يحاولون الهجوم على مصر. وعندما هجموا على مصر ـ وكان معهم السيد أحمد ـ اشترك

معهم في الهجوم. ولما فشل الهجوم، وأُسر بعض الأتراك، بقي هو مع نوري باشا في برقة، لمحاولة استئناف الهجوم على الإنجليز.. وهذه أول مرة تطأ فيها أقدامه ليبيا.

ولكن اتصال إدريس السنوسي بالإنجليز والطليان، ودخولَه معهم في مفاوضات الزويتينة حال دون استئناف الهجوم على الإنجليز. فالتحق هو ونوري باشا بمصراتة في نوفمبر سنة 1916. وسُر بنشاطه رمضان السويحلي، وأصبح من أعز أصدقائه وأخلص أعوانه.

وفي أغسطس سنة 1917 سافر من مصراتة هو ونوري باشا إلى الآستانة في غواصة ألمانية.

وبعد وصوله إلى الآستانة أوفدته وزارة الحربية التركية إلى برلين وفِيينا في مهمة عسكرية، وهي اتخاذ ما يلزم لتأمين الإعانة المالية والحربية إلى طرابلس بطريق الغواصات.

وعينت الحكومة العثمانية البرنس عثمان فؤاد، ابن الأمير صلاح الدين بن السلطان مراد، قائداً أعلى للقوات الأفريقية، وعيَّنت عبد الرحمن عزام مستشاراً له.

وفي مارس سنة 1918 عاد إلى مصراتة مع البرنس عثمان فؤاد. واستقر به المقام في مصراتة. وكانت مساعيه الخيرة، ونشاطه فيما تقتضيه المصلحة محلَّ التقدير من رمضان السويحلي وجميع رؤساء المجاهدين.

وكان له سعي مشكور في تسوية الخلاف الذي كان قائماً بين ترهونة ومصراتة، وبمساعيه هو ومن معه من مُحبّي الخير دفع الله عن البلاد شرّاً لولا هذه المساعي لزهقت فيه أرواح كانت طرابلس أحوج ما تكون إليها في محاربة العدو.

ولما انتهت الحرب جاء أمرٌ إلى الأمير عثمان بالرجوع إلى الآستانة هو ومن معه من الأتراك.

وكان الأستاذ عبد الرحمن عزام يريد أن يسافر مع الأمير عثمان بمقتضى وظيفته لأنه مستشار له. ولكن ما أبداه من نشاط وحسن تدبير حبّب فيه الرؤساء الطرابلسيين، فرأى رمضان السويحلي أن من المصلحة ألاّ تُحرم البلاد من خدماته، فاستبقاه معه، وسافر الأمير عثمان ومن معه إلى الآستانة على طريق تونس.

وبقي يعمل في هيئة الجمهورية إلى أن حصل صلح بنيادم مع الطليان في سنة 1337هـ الموافق يونية سنة 1919. وشارك في وضع القانون الأساسي، ذلك القانون لو أخلص الطليان في تنفيذه لما وقعت طرابلس في تلك الهاوية التي وقعت فيها سنة 1923.

وحضر مؤتمر غريان في شهر ربيع الأول سنة 1339هـ الموافق نوفمبر سنة 1920 وانتخب مستشاراً له. وكان من أعز الأصدقاء لجميع الرؤساء الطرابلسيين، وخصوصاً رمضان السويحلي..

وبقي في طرابلس إلى سنة 1341هـ حيث سافر إلى مصر في صفَر من هذه السنة، نوفمبر سنة 1922.

وحسنات عبد الرحمن عزام وخدماته في الحرب الطرابلسية لا تفي بذكرها هذه الورقات. ولكن ذكرنا بعضها لمناسبة ما ذكره في مقدمته من الأدوار التي مرت فيها الحرب الطرابلسية وكان حاضراً فيها.

ولا ننسى ما قدّمه للطرابلسيين من خدمات حينما هاجروا إلى مصر. فله منا ألف شكر وتحية. ونسأل الله أن يجازيه خير ما يُجازَى به مسلمٌ مخلص لدينه وبني قومه.

الطاهر الزاوي

مقدمَة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده الملْك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد لإعلاء كلمة الحق فكانت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا.

أما بعد فإن من مبادىء الدين الإسلامي أن يعلّم معتنقيه إباء الضيم والذودَ عن حياض الشرف والكرامة، وقد تسابقت في هذا الميدان رجالات من بين الشعوب التي تشرفت باختيار الاسلام ديناً، فحازوا فيه قصب السبق، واقتعدوا غارب المجد بين أممهم، فكانوا رمز البطولة ومقياس العظمة، وكانت لهم أسمى منزلة لدى جميع الأمم لا ينكرها إلا مكابر أو من لا يريد أن يعرف الحقائق.

وقد كان لظهورهم في فترات من الزمن أثر في إنهاض النفوس وحفزها إلى العمل، وفي يقظة الشعوب مما ألم بها من الإخلاد إلى الراحة وخفض العيش.

ولم يخلُ الوجود من هذا الطراز منذ أن تعارفت جماعات البشر

وتكونت شعوباً وقبائل، ولكن كانوا أبرز ما يكونون ظهوراً منذ أن أظل الإسلام هذا الوجود وغذاه محمد ﷺ بتعاليمه السامية.

وليس في مقدور إنسان أن ينكر كثرة هذا النوع في الأمم الإسلامية في مختلف بقاع الأرض، ولكن كثرة أعدائهم، واستيلاء الفرنجة عليهم، وتسابق المستعمرين إلى إذلالهم والقضاء عليهم ـ كل هذا ومثله وأكثر منه ـ حال دون معرفة كثير من الناس لكثير من هؤلاء الأبطال الذين ولدتهم الأمم الإسلامية وبرزوا في الدفاع عنها والأخذ بها إلى ميادين الشرف وحماية الحوزة.

وقد يكون الواحد من هؤلاء الأبطال رجلاً عادياً بين قومه ليس له أكثر مما لرئيس الأسرة بين أفرادها، ولكنه إذا جدَّ الجد وحزَب الأمر رأيت من تلك النفس الهادئة الأسد الهصور والقائد المحنك والشجاع الذي لا يهاب الموت، فيخوض غمار الحوادث مهما عظُمت بنفس مطمئنة راضية، لا لأجل نفسه، ولكن لأمته ودينه، وأحب ما لديه ـ إذا لم يصحبه التوفيق ـ أن يفارق هذه الحياة التي لم يتح له فيها أن يقيل أمته من عثارها.

وأكثر ما يكون هؤلاء الأبطال ظهوراً إذا اعتُدي على كرامة أُممهم أو أوطانهم، فعند ذلك يبرزون بروز الربيع في أرض مخصبة قد جادها الغيث.

وإن أكبر اعتداء وقع في القرن الرابع عشر هو اعتداء الطليان على ليبيا، فقد هاجموها بجيوشهم وأساطيلهم وطياراتهم، وقتلوا الآمنين، ومثّلوا بالزعماء مما لا يفعله من يحترم الحقوق البشرية.

وقد نهض في وجوههم الليبيون ودافعوا بكل وسيلة تدفع حتى العصيّ والحجارة، وقد استمروا على هذا الدفاع اثنتين وعشرين سنة، وقد ظهر خلال هذه المدة أبطال اشتهروا بالإخلاص في دفاعهم ونزاهة النفس. ومن أشهرهم السيد أحمد الشريف، ورمضان بك السويحلي، والسيد عمر المختار، والشيخ سليمان الباروني، وأحمد بك المريض، ومحمد سعدون

السويحلي[3]، والشيخ محمد سوف[4]، والشيخ خليفة ابن عسكر، والسيد محمد بن عبد الله البوسيفي، وعبد العاطي الجرم[5]، والشيخ محمد هوسيه وأحمد سيف النصر، والحاج محمد فكيني، وغيرهم كثير.

ولسنا بصدد تخليد ذكرى هؤلاء الأبطال جميعاً فإن الظروف غير مهيأة لذلك، ولكن الذي يهمنا الآن هو تخليد ذكرى آخرهم عهداً بهذه الحياة، ومن لا تزال روحه الطاهرة ترفرف على الجبل الأخضر ببرقة لتطل من الملأ الأعلى على بقايا تلك الأجساد الممزقة في سبيل الله وإنقاذ الوطن وهو السيد عمر المختار.

ولا يكفي ما في هذه النبذة القليلة لإثبات ما للشعب الليبي من فخر في جهاده الوطني الذي استمر اثنتين وعشرين سنة، فعلى شباب الأمة وشيوخها أن يتضافروا على جمع ما تشتت من أعمالهم الخالدة في بطون الأيام، ليظهروا للعالم تاريخاً حافلاً بحوادث الحرب الليبية الخالدة.

الطاهر أحمد الزاوي

---

(3) توفي محمد سعدون السويحلي يوم الجمعة 17 رمضان سنة 1342 في معركة كانت حامية الوطيس في المشرك (مكان بأراضي مصراتة) وكان قائد الجيش الوطني وقد قتل تحته يوم موته جوادان وأبلى بلاء يندر وجود مثله. ونقلت جثته ثاني يوم المعركة ودفن بالسدادة عند منتهى وادي نفد بأراضي أورفلة عليه رحمة الله.

(4) ولد الشيخ سوف المحمودي في سوف تبع الجزائر سنة 1274 وكان بطلاً من أبطال الحركة الوطنية بطرابلس وكثيراً ما قاد الجيوش وحضر المعامع، وله مواقف في البطولة يندر وجودها لغيره من أبطال العرب، ولا تجد عضواً من أعضائه إلا وفيه جرح من رصاصة أو سيف. ولما أن تغلبت إيطاليا على الحركة الوطنية في سنة 1340 هاجر إلى القطر المصري وتوفي في المتراس (قرية بقرب الاسكندرية) يوم الثلاثاء 19 صفر سنة 1349.

(5) مات عبد العاطي الجرم في جمادى الأولى سنة 1340 متأثراً بجراحه في معركة يوم السبت بمصراتة.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على ما أتاحته لنا ثورة التاسع عشر من جمادَى الآخرة سنة 1389 (ثورة الفاتح من سبتمبر) سنة 1969 من حرية البحث في تاريخ جهاد أُمتنا المجيدة، وإزالة ما علق به من طمس الحقائق في عهد إدريس البائد، وتصحيح ما ألحقته به تلك الأقلام المأجورة من قلب الحقائق، أو إسنادها إلى غير أهلها، بدون أن يكون لأصحابها وازع من دين أو أخلاق يمنعها من الكذب الصراح والبهتان الواضح.

وإنه ليسرني أن أنتهز هذه الفرصة لأقدم إلى مواطنيّ حلقة من جهاد أبطالنا الأشاوس، تلك هي كتاب (عمر المختار) في ثوب جديد، وباسمٍ حقيقي جديد.

إنه ثوب جديد أضْفته عليه طبعته الثانية، حيث أمكنني إضافة بعض الحقائق التي لم تذكر في الطبعة الأولى، فجاء أوسع مادة، وأشمل فائدة منه في الطبعة الأولى.

ووُضع عليه اسم جديد هو اسم المؤلف الحقيقي (الطاهر أحمد الزاوي) الذي لم تسمح الظروف السياسية في مصر وقت طبعه بالتصريح به.

ولقد كنت وقت تأليفه بمصر سنة 1353 الموافق 1932 أرقب أحداث بلادنا على كثب، وأُسجل ما يصل إليَّ من صحيح الأخبار، ووقائع الحرب في الجبل الأخضر: تارة بواسطة بعض المجاهدين الذين كانوا يفدون على

مصر، وتارة بواسطة الأخبار التي كانت تنقلها الجرائد عن مراسليها، أو عن من يتصل بها من المجاهدين، أو ما يأتي إليها من الجهات الحكومية الرسمية.

ولقد كان لنفوذ السياسة الايطالية آنذاك قوةٌ تمنع أي إنسان أن يتعرض لها بالنقد، أو يدعو إلى نصرة السيد عمر المختار.

وحرصاً مني على إظهار حقيقة مواقف عمر المختار وإخوانه بالجبل الأخضر بأي طريقة، وقّعتُ الكتاب باسم (أحمد محمود) تفادياً للوقوع تحت ضغط السياسة الإيطالية.

وقد تعرّضت في كثير من المناسبات في كتاب «عمر المختار» بالنقد لسياسة إدريس السنوسي السلبية، ومواقفه المريبة.

وكنت أتوقع أنه سيعلم اسم مؤلف عمر المختار الحقيقي، لأني كنت على صلة ببعض الطلبة الليبيين الذين لهم به صلة، وهم يعلمون أني صاحب كتاب عمر المختار. وبمجرد ظهور الكتاب أبلغوه الحقيقة كما كنت أتوقع.

وما كاد إدريس يعلم أني مؤلف كتاب عمر المختار، حتى رفع عليَّ قضية لدى النيابة المصرية، بصفتي مؤلفاً لكتاب عمر المختار، وعلى السيد عبد العزيز الحلبي بصفته ناشراً له.

ودُعيت إلى النيابة، وسئلت عن كتاب عمر المختار فاعترفت بتأليفه، وأني مسؤول عن كل ما جاء به.

ولما بذله السيد عبد العزيز الحلبي رحمه الله من جهود لدى المسؤولين بمصر، وتفهيمهم مواقف إدريس المريبة من القضية الليبية، فقد حُفظت القضية، وباء إدريس بالفشل، كعادته في جميع أعماله، في حياته الطويلة.

* * *

والسيد عمر المختار ليس في حاجة إلى التعريف به، ولكن ما وقع أيام جهاده من حوادث، وما لاقاه من عنف الإيطاليين جدير بأن يعرفه الشباب الليبي، ليكونوا على علم بما قدم آباؤهم للوطن. وهو واجب وطني يجب أن يُعدوا أنفسهم له.

وسيجدون في شخص عمر المختار، ما يحفزهم على الاقتداء به، لأنه شيخ جرّب الأمور، وعركته الحروب، وعاش في مدرسة الحياة نحو ثمانين سنة، فكان من أنجب تلاميذها، لأنه حلب شطريها، وجرَّب حلوها ومرّها.

وفي أعماله ما يُعلّمهم الصبر على المكاره، والاعتدادَ بالنفس، وحبّ التضحية في سبيل الوطن إلى أبعد حدود التضحية.

ولا غرو أن يقتدي الشبان بمثل هؤلاء الأبطال للمحافظة على نسل البطولة، ولتكريمهم بالاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

ولنا أمل في شبابنا لتحقيق هذه القدوة بهؤلاء الأبطال.

الطاهر الزاوي

عمر المختار

نسبه ونشأته:

هو عمر بن المختار من قبيلة المنفة من أكبر قبائل بادية برقة بليبيا. ولد في البطنان ببرقة سنة 1277 من أبوين عربيين. وكفله أبوه وعني بتربيته فنشأ في بيت عز وكرم بعيداً عن أخلاط المدن ونقائصها، تحوطه شهامة العرب وحرية البادية، وحوله من مظاهر الفروسية ودواعي الاعتزاز بالنفس ما بعث في تلك النفس الكبيرة حب التضحية والأنفة من الخضوع إلى من لم يجعل له دينه سلطاناً عليه.

تعلمه القرآن والعلوم:

وإذ كان السيد عمر صبياً كان السيد محمد المهدي السنوسي رحمه الله صاحب الجاه العريض والسلطان النافذ في برقة، وكان يقيم في الجغبوب. وما كاد السيد عمر يبلغ السن الذي تؤهله لحفظ القرآن[6] حتى بعث به والده المختار إلى زاوية السنوسية بالجغبوب ليقرأ فيها القرآن وما تيسّر من العلوم. وقد ظهر عليه من دلائل النجابة ورزانة العقل ما لفت نظر السيد المهدي إليه

(6) ذكر السيد عمر أمام المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام أنه تربى على يد السنوسية منذ كان عمره 16 سنة.

فصار موضع اهتمامه، وأحلّه من عنايته المحل الأول.

مبدأ ظهوره:

وكان من حسن حظ السيد عمر أن كانت له تلك المنزلة المشرفة عند السيد المهدي فما كاد يتم حفظ القرآن ودراسة بعض العلوم حتى شاع ذكره وتناولته الألسن بالثناء، واحترمه رؤساء قبائل العرب لعراقة بيته فيهم ولمكانته السنوسية.

وكان شيخه في القرآن السيد الزروالي المغربي الجواني. أما أستاذه في العلوم فهو الأستاذ العلامة الأديب السيد فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني صاحب التعليقات على «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب».

إسناد الوظائف إليه:

وبعد أن حفظ القرآن وأتم دراسة علومه بزاوية الجغبوب على من ذكرنا ولاه السيد محمد المهدي شيخاً على «زاوية القصور» بالجبل الأخضر بقرب المرج، فقام بتعليم أولاد المسلمين وإكرام من يأوي إلى تلك الزاوية من الفقراء وعابري السبيل، وفض المنازعات بين قبائل العرب والسعي في مصالحهم. وسار في الناس سيرة مدحه عليها العقلاء، وأغمضت مهابته عيون غيرهم، واحترمه الناس لفضله البادي في كل ناحية من نواحيه.

وكان اختيار السيد عمر شيخاً لزاوية القصور لغرض سام لم ير السيد المهدي رجلاً أهلاً لتحقيقه إلاّ السيد عمر المختار لدماثة أخلاقه وصلابة عوده. ذلك أن زاوية القصور في حوزة قبيلة العبيد. وهذه القبيلة اشتهرت بشدة الشكيمة، وظهر فيها أفراد صعب مراسهم، وأغرتهم التربية الاستقلالية ودواعي الشباب بما تأباه العقول الراجحة والمفكرون في عواقب الأمور، فكان الذي في إمكانه أن يروض هذه النفوس الجامحة، والذي أهّله سمو

أخلاقه لسياسة هذه القبيلة التي كثر فيها المتمردون على ما اعتاد العرب احترامه ورعاية جانبه هو السيد عمر المختار. ولقد أثبتت الأيام حسن هذا الاختيار من السيد المهدي، فكان عمر المختار مختاراً بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى.

أما لقب السيادة فقد ناله من انتسابه إلى السنوسية لأنهم هم الذين يخصهم أهل برقة بلقب «الأسياد» ولا يطلق على غيرهم إلا إذا نال رضاهم وكان محل ثقتهم كالسيد عمر.

ثقة السيد المهدي به:

وقد عرضت للسيد المهدي أمور اقتضت سفره إلى السودان فكان أول من وقع عليه اختياره لمرافقته في هذا السفر الشاق الطويل هو السيد عمر المختار، فسافر إلى السودان صحبة أستاذه في أواخر سنة 1312 وكان محل ثقته ومعقد آماله. وكان السيد المهدي معجباً به، وكان يثني عليه بما هو أهله حتى كان يقول: «لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم».

وولاه السيد المهدي في السودان شيخاً لزاوية «كلك» واستمر بالسودان نائباً عن السيد المهدي وقائماً ببث الدعاية الإسلامية وتعليم أولاد المسلمين إلى أن رجع إلى برقة سنة 1321 وتولى شيخاً لزاويته، القصور، للمرة الثانية، واستمر يدير شؤونها إلى سنة 1329 حيث احتل الطليان بني غازي فكان أول من لبى نداء الوطن وباشر الجهاد.

جهاده لإنقاذ الوطن:

لما هاجم الأسطول الإيطالي مدينة بني غازي يوم الأربعاء 4 من شوال سنة 1329 الموافق 19 من أكتوبر سنة 1911 كان السيد عمر غائباً عن برقة في زيارة للسنوسية بالكفرة.

وقد هبَّ السكان للدفاع عن وطنهم، ومعهم حامية تركية قليلة،

ولكنهم لم تطل مقاومتهم لشدة هجوم الأسطول عليهم، فاضطر بعضهم إلى الانتقال عن مدينة بني غازي وعسكروا خارجها بالأبيار. ورجع السيد عمر من زيارة الكفرة.. ولما وصل إلى جالو علم باحتلال الطليان لمدينة بني غازي، فاستمر في طريقه حتى اتصل بمعسكر المجاهدين، وأنشأ معسكراً في الخروبة بقيادته. وأخذ هو وبعض أعيان البلاد في تنظيم المجاهدين وإعدادهم لمواجهة العدو. ثم انتقلوا إلى الرجمة، ومنها انتقلوا إلى بَنينة، وتقع جنوبي مدينة بني غازي بنحو عشرين ك م.

وصار المجاهدون يراقبون حركات العدو، وينتهزون منه كل غرة ليضربوه كلما أمكنهم ضربه، سواء أكانوا بقيادته أم بقيادة غيره.

واستمروا على هذه الحال إلى أن جاء السيد أحمد الشريف من الجغبوب ووصل إلى درنة في مايو سنة 1913 الموافق جمادى الآخرة سنة 1331هـ. وسلمت إليه قيادة المجاهدين العليا في جميع برقة، فنشط المجاهدون في مراقبة العدو، وكثر عددهم، وأحكموا عليه الحصار، ولم يتركوا له منفذاً منه إلى داخل البلاد. ووقعت بينهم وبين الطليان معارك كثيرة وكبيرة.

وكان السيد عمر في مقدمة من يثق بهم السيد أحمد ويعتمد عليهم ويعلم الله أنه جدير بهذه الثقة.

ولولا جهاد السيد أحمد الشريف ومن انضم إليه من سكان برقة، لما كان للسنوسيين أثر في جهاد ليبيا مع الطليان. وكلٌّ ما ينسب إلى السنوسيين في الجهاد الليبي الإيطالي، فإنما ينسب إليهم من طريقه وحده، إلا ما كان لأخيه صفي الدين من تحركات، ولكنها كانت غير موفقة.

أما من عداهما من السنوسيين - ممن حضروا الحرب الإيطالية - فكلهم صفر على الشمال. وفي مقدمتهم الخطّاب، وكان سلاَّباً نهَّاباً، حتى سمّي الخطاف - بالفاء -. واستغل سمعتَه هاشمٌ الزُّوَلّي، الذي كان يسمي نفسه

(كلب السيد) أو (كُلَيب الحضرة) وقد أتى هذا الكلبُ من المنكرات ما لوَّث به سمعة الخطاب، بل سمعة السنوسيين كلهم، فكان له الغُنْم وعليهم الغرم. (ومحمد العابد) وكان أقلهم ضرراً. و(هلال) وقد ارتمى بين أحضان الطليان في مدينة طرابلس، ووفروا له جميع المغريات، فانغمس فيها إلى أُذنيه، ونُبز بكل ما يتنافى مع الأخلاق الكريمة.

وهؤلاء الثلاثة. وإن كانوا إخوة السيد أحمد الشريف، إلا أنه بريء من أعمالهم. فهو نسيج وحده رحمه الله.

أما أبناء المهدي السنوسي ـ وهم إدريس، والرضا، وأولاد الرضا. فالأوراق لا تتسع لأعمالهم. وقد ذكرنا بعضها في آخر هذا الكتاب، وفي جهاد الأبطال.

وقد ظهرت في أيام حكم إدريس أقلام مأجورة، ليس لها من الدين وازع، ولا من الأخلاق رادع حاولت طمس الحقائق، والكذبَ على التاريخ، وأن تجعل من مُومِيَاء إدريس إنساناً حيّاً له من مقومات الحياة ما يمكنه من الحركة، ولكن هيهات:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

السيد عمر وعزيز بك المصري:

ونكتفي أن نورد هنا ما ذكره الأمير شكيب أرسلان بشأن النزاع الذي حصل بينه وبين عزيز بك المصري.

قال الأمير شكيب في («حاضر العالم الاسلامي» جـ 2 ص124 و125 الطبعة الثانية) ما نصه:

«ولما نشبت حرب البلقان ألح الأتراك على أنور بالرجوع إلى الآستانة فرجع مكرهاً وسلم القيادة إلى عزيز بك المصري الذي واصل قتال الطليان. ثم لما عقدت الدولة الصلح مع إيطاليا سنة 1912 رأى عزيز بك نفسه

مضطراً إلى ترك القتال، فسحب العسكر النظامي الذي كان في برقة ـ وكانوا زهاء أربعمائة ـ وأخذ الأسلحة التي أمكنه أخذها وسار قاصداً الحدود المصرية. وهو بهذا لم يعمل إلا بحسب الأصول الدولية، ولكن المجاهدين السنوسيين نقموا عليه أن عطل المدافع التي بقيت عندهم ودفن القراطيس والقذائف في الأرض، وهذه روايتهم التي رووها لجميع الناس وحرروها وقدموها إلى الآستانة والله أعلم بها.

ثم إن عزيز بك أبى أن يسلِّم العرب البنادق التي مع عسكره وذلك وفقاً للأصول الحربية التي تقضي بعد انعقاد الصلح بين تركيا وإيطاليا أن لا يسلّم العسكر العثماني أسلحته لأعداء إيطاليا. ولكن العرب لم يقبلوا هذا العذر أيضاً، ولم يفهموا كيف أن الدولة بعد أن عقدت الصلح مع إيطاليا مكرهة، مرغمة بسبب حرب البلقان، تعود فتسحب هذه القوة الضئيلة التي كانت باقية لها في برقة ثم تأبى أن تترك لهم البنادق التي كان يحملها الأربعمائة عسكري الذين مع عزيز بك. ولذلك أصروا على عزيز بك في تسلمهم البنادق وبدأوا أولاً معه بالجدال وانتهوا أخيراً إلى الجلاد، فوقعت حادثة مؤسفة مؤلمة نرى من واجبات الأمانة التي تلزم المؤرخ عند ذكر الوقائع ألا ندعها مسكوتاً عنها كيف كان الخطأ فيها.

وذلك أن الأعراب بجهلهم عندما قطعوا أملهم من تسلم البنادق بالرضى أطلقوا الرصاص على العسكر العثماني وكان قد خيَّم في دفنة غربي السلوم ولم يبق إلا أن يصل الحدود. ولعلهم قتلوا أو جرحوا بعضاً من العسكر، فأمر عزيز بك بمقابلتهم بالمثل، فنشبت معركة سقط فيها أكثر من ستين قتيلاً من العرب وبضعة عشر قتيلاً من الجند. وعند ذلك امتد صريخ العرب بعضها إلى بعض وأقبلت من كل صوب تريد الانتقام من عزيز بك وعسكره. وهذا كله في دفنة والأراضي المسماة بالبطنان. وأخذت العرب تجتمع لمهاجمة الجند النظامي. وكان السيد أحمد الشريف السنوسي في الجبل الأخضر وقد صفى الجو بينه وبين عزيز بك المصري بسبب سحب

هذا العسكر النظامي وتخليته لبرقة، ولكنه لم يكن ليرضى بأن تكون النهاية قتلَ المسلمين بعضهم بعضاً، وأن يوقع العرب بجند الدولة التي كانت تحافظ على بلادهم. فأرسل السيد السنوسي الأكبر الشهيد السيد عمر المختار لتلافي الشر ومنع الأعراب من الهجوم، فقطع عمر المختار مسافة أربعة أيام في يوم واحد مواصلاً الإغذاذ إلى أن أدرك العرب قبل هجومهم. فحجر الشر وأبلغهم ما في مقاتلة عسكر الدولة من الفضيحة والشماتة وسوء القالة وسدّ أبواب عواطف الدولة على عرب طرابلس. وما زال بهم حتى أقنعهم بأمر السيد السنوسي أن يتركوا ثأرهم ويعدوا هذه الواقعة كأنها لم تكن، وفي مقابلة ذلك أخذ لهم، فيما سمعت، البنادق التي كانت مسألتها هي سبب الشر الذي وقع. ولكن عزيز بك علي المصري وصل إلى مصر ثم إلى الآستانة وقد امتلأ صدره وغراً على السنوسية، كما أنهم هم أيضاً قدموا الشكوى بحقه إلى الدولة بعد أن صار أنور ناظراً للحربية، واتهموه بأشياء كثيرة أحالته الدولة من أجلها إلى المحاكمة ثم خلّت بعد ذلك سبيله بشرط أن يغادر تركيا إلى مصر وطنه في خبر ليس هذا محله، لأنه يتعلق بموضوع الحركة العربية على تركيا أكثر مما يتعلق بطرابلس الغرب».

وقد استمر السيد عمر في جهاده إلى أن حصلت مفاوضات الزويتينة بين الإنجليز والطليان من جهة وبين السيد إدريس من الجهة الأخرى، ووضعت الحرب أوزارها في برقة فبقي السيد عمر ينتظر الفرص لاستئناف الحرب على عدو الوطن.

كيف وقعت مفاوضات الزويتينة؟

في سنة 1916 أوفد السيد إدريس ـ وكان إذ ذاك مقيماً بأجدابية ـ السيّد عمر المختار والشيخ إبراهيم المصراتي وكلفهم بالاتصال بمعسكر نوري باشا الذي كان وقتئذ نازلاً بالبطنان، على مقربة من خليج البنبة، لينصحوا له بعدم الحركة مرة أخرى على الحدود المصرية، وليراقبوا حركات نوري باشا العسكرية بحيث لا يسمحون له باستمرارها ضد الانكليز. وكانت حالة معسكر نوري سيئة وفي أشد الاحتياج.

وكانت الحكومة العثمانية أرسلت إلى نوري باشا ـ وهو ببرقة ـ أموالاً كثيرة نحو سبعين ألف جنيه على دفعتين، بعضها ذهب، وبعضها أوراق، ومعها بنادق، وصناديق ذخيرة، ورست بها الغواصة على مرسى البريقة.

وكان نوري باشا ما زال في الجهة الشرقية من برقة، فسمع إدريس بالغواصة، فأرسل إليها رجالاً من طرفه، وتسلموا كل ما فيها، على اعتبار أنهم يسلمونه إلى نوري. لأنه هو الممثل للحكومة العثمانية في برقة، ذلك أنه بعد أن تغلب الإنجليز على السيد أحمد بقي نوري في برقة ليحاول استئناف الحرب على الإنجليز في الحدود المصرية، وجاءته الغواصة بهذا المدد ليتمكن من تنفيذ خطته التي بقي من أجلها في برقة. ولكن إدريس احتجز ما جاء في الغواصة وتصرف فيه حسب رغبته.

وكان إدريس ضد فكرة استئناف الحرب على الإنجليز في الحدود

المصرية الغربية، وقد رأى نوري من الخير أن يجتمع بإدريس فجاء إليه ـ وهو في إجدابية ـ ومعه عبد الرحمن عزام، ومحمد بو جبريل، واجتمعوا به، في أول صيف سنة 1916 ليتفقوا معه على رأي، وبقي السيد عمر ومن معه في معسكر نوري، انتظاراً لما يسفر عنه اتفاق نوري وإدريس.

ولم يتفق نوري مع إدريس على شيء.. لتمسُّك إدريس برأيه في عدم استئناف الهجوم على الإنجليز في الحدود المصرية.

وفي أثناء وجود نوري في أجدابية مع إدريس، جاء إلى إدريس وفد من الإنجليز والطليان فيه الكولونيل طولبت الإنجليزي والكولونيل دبيتا الطلياني ومعهم أحمد بك حسنين والسيد محمد الإدريسي وابنه المرغني. فالتقى بهم السيد إدريس في الزويتينة، وكانت مهمة هذا الوفد مفاوضة السيد إدريس في ما يتعلق بعدم الهجوم على الحدود المصرية من ناحية الإنجليز، وإيقاف الحرب في برقة من ناحية الطليان.

وكان إدريس حريصاً على نجاح هذه المفاوضات، لأنه كان يتعلل بأن المجاعة شديدة في برقة، والحالة لا تسمح باستئناف الحرب على الإنجليز في الحدود المصرية.

وعلى رغم أن نوري باشا كان موجوداً في برقة بصفته ممثلاً للحكومة العثمانية، فقد استقل إدريس بالمفاوضات بنفسه ولم يستشره، ولم يستشر أحداً من الطرابلسيين.

وترتب على هذه المفاوضات كل سياسة المعاهدات في برقة، سواء كانت في عكرمة أو الرجمة، وسياسة المهادنة للإنجليز والطليان.

وبعد هذا الموقف المتصلب من إدريس في انحيازه إلى سياسة الإنجليز والطليان وتمسكه بتنفيذها لم ير نوري باشا بدّاً من الرحيل عن برقة. وبما أن هذه الأحداث كانت أثناء الحرب العالمية الأولى، وكانت الحكومة العثمانية في صفّ ألمانيا، فكان مع نوري في برقة الكونت (مانسمان) الألماني ممثلاً للسياسة الألمانية.

وكانت مصراتة إذ ذاك فيها حكومة رمضان السويحلي، وكانت قائمة بحركة الجهاد خير قيام. فسافر إليها نوري باشا هو والأستاذ عبد الرحمن عزام، لمحاولة تنفيذ ما يمكن من سياسة الحكومة العثمانية التي ترمي إلى مناوأة الإنجليز والطليان، فوصلاها في آخر سبتمبر سنة 1916. وتفرق الجيش الذي كان مع نوري في برقة. وسجن إدريس بعضه، ونفى موسى اليمني إلى الكفرة وهو من أكبر الضباط العثمانيين.

ولأمرٍ ما لم يسافر الكونت (مانسمان) مع نوري إلى مصراتة، وتأخر قليلاً. ثم التحق به، وأجّر أحد العربان لتوصيله إلى مصراتة، وكان معه نحو عشرة آلاف جنيه ذهباً، ولكنه قُتل قبل أن يصل إلى سرت، وأُخذ كل ما معه من النقود.

وبسفر نوري إلى مصراتة استحال تجديد الهجوم على الحدود المصرية، الذي كان غرضاً أساسياً لوجود نوري باشا في برقة.

وبهذا الموقف من إدريس ضد السياسة العثمانية ازداد سوء التفاهم بين إدريس، والحكومة العثمانية، وبينه وبين السيد أحمد الشريف الذي ظل موالياً لفكرة الجهاد وللدولة العثمانية إلى أن توفاه الله[7].

وبسبب المعاهدة التي عقدها إدريس مع الطليان، منع إدريسُ السيد أحمد من دخول برقة لمّا طرده الإنجليز من سيوه في فبراير سنة 1917 فاضطر إلى الذهاب إلى سرت والجفرة.

أحداث بين طرابلس وبرقة:

وقعت أحداث مؤسفة بين طرابلس وبرقة، كان سببها تلك الفتنة التي أحدثها صفي الدين في مصراتة، والتي نتج عنها الخلاف الذي وقع بينه وبين رمضان السويحلي.

(7) توفي السيد أحمد الشريف في المدينة المنورة يوم الجمعة 14 من ذي القعدة سنة 1351هـ.

وبما أنه سيجيء في أثناء الكلام ما يشير إليها، فقد رأيت أن أذكر ملخصها ليكون الناس على علم بحقيقة ما وقع.

لقد ذهب الناس في أسباب هذا الخلاف مذاهب تختلف بحسب ما وصل إلى علم كل منهم من الناحية التي اتصل بها. ونحن نذكر هنا أصح ما اتصل بنا من أوثق المصادر.

لما وقع الصلح بين الحكومة العثمانية وإيطاليا بشأن طرابلس في أكتوبر سنة 1912 وانتهت الحرب في طرابلس لم يرضَ السنوسيون بهذا الصلح، واستمروا على الحرب في برقة. وقد أرادوا أن تُستأنف الحرب في طرابلس فأرسلوا السيد صفي الدين إلى سرت، وكان من ضمن أعماله أن أغار على إبل مصراتة وأخذها بحجة أن أهلها «متطلينون».

وقد أخذ رمضان السويحلي يفكر في الاتصال بمعسكر السنوسيين منذ أن سمع بقدومه إلى سرت. ولما وقعت الإغارة على إبل مصراتة اتخذ رمضان هذا الحادث وسيلة إلى تنفيذ فكرته، وطلب من الحكومة الإيطالية أن يذهب إلى معسكر السنوسية ليتفاهم معه في إرجاع الإبل. فأذنت له وذهب في أربعين فارساً. ووجد الناس من ذهاب رمضان مشجّعاً لهم على الالتحاق بالسيد صفي الدين فالتحق به أناس كثيرون، وسرت في الناس روح النشاط إلى الثورة وأخذ بعض الناس السلاح من الحكومة الإيطالية بحجة المحافظة على أموالهم من هؤلاء المغيرين. وبعد وصول رمضان بك بيومين هجم الإيطاليون على معسكر السنوسية وحصلت معركة اشترك فيها رمضان بك ومن معه وقتل فيها بعض رفاقه وجرح أخوه أحمد وآخرون.

وقد خاف رمضان بك أن يسبقه الخبر باشتراكه في المعركة إلى إيطاليا فتقتل أهله وإخوته في مصراتة، فأسرع بالرجوع إليها. ولما سأله الطليان عما وقع أنكر حضوره المعركة وأكد لهم أنه وصل بعدها بيومين وأن رفقاءه إنما تخلفوا لأجل تخليص الإبل من المجاهدين لأنهم اقتسموها قبل وصولهم، وأنه لم يمت ولم يجرح منهم أحد.

وقد استدعته حكومة طرابلس لتسأله عن هذا الحادث فأجابها بما تقدم. وقد تغير نظر الطليان بعد هذا الحادث إلى رمضان، واعتقدوا أن له تأثيراً على السنوسية، فكلفوه بأن يذهب على رأس جيش لمحاربتهم إن أبوا الصلح. وهددوه بالنفي إلى إيطاليا إن لم يفعل. فرضي بذلك واعتزم أن يستعمل هذا الجيش ضد الإيطاليين.

تأليف الجيش:

وتألف هذا الجيش من أكبر القبائل الطرابلسية، وكان رمضان بك رئيساً على مصراتة، وعدد هذا الجيش أربعة عشر ألفاً برياسة الكولونيل هياني. وقد استغرق وصول الجيش إلى سرت بعد اجتماعه نحو ستة أيام اتصل في أثنائها رمضان بك بصفي الدين وأفهمه أنه مصمم على محاربة الطليان. وقد رفض صفي الدين ما عرض عليه من الصلح بناء على هذه الفكرة. ونشبت المعركة بين الفريقين وانتقض رمضان بك على الطليان وركب أقفيتهم فانهزموا شر هزيمة. وهذه الواقعة تسمى «واقعة القرضابية» وكانت يوم الخميس 15 جمادى الأولى سنة 1333.

إلى هنا يرى القارىء أن علاقة رمضان بك بالسادة السنوسية علاقة مودة وتعاون وتناصر، وأنه هو البادىء بطلب مودتهم والانضمام إليهم في قتال العدو.

وما كاد خبر هذه المعركة يصل إلى مصراتة وأن رمضان بك انضم إلى صفي الدين حتى انبرى الطليان إلى أهالي مصراتة فملأوا بهم السجون وأرسلوا أعيانهم إلى إيطاليا. ولم تخف على رمضان بك مثل هذه الأعمال فأراد الرجوع إلى مصراتة لينقذ أهلها، فلم يأذن له صفي الدين ـ وكان رمضان بك أخذ أكثر الغنائم ـ وأخذ يماطله وقصدُه أن يترك له ما أخذه من الغنائم. وبعد ستة أيام نفد صبر رمضان بك فترك للسيد أكثر ما أخذه من الغنائم وذهب إلى مصراتة لإنقاذ أهلها من يد الإيطاليين.

وبعد مناوشات تمكن رمضان من حصر الإيطاليين فيها خمسة وعشرين يوماً، ثم جاءوا بقوة عظيمة وفكوا الحصار عن أنفسهم بعد معركة دامت ثلاث عشرة ساعة استشهد فيها 120 شهيداً. وترك الطليان مصراتة بكل ما فيها من معدات وسلاح وأرزاق وكانت غنائم لا تحصى، واستتب الأمر في مصراتة لرمضان.

ثم انتقل صفي الدين إلى أورفلة وفرض على أهلها الضرائب وأخذ كل ما غنموه من الطليان في بلادهم حتى جلا عبد الغني وغيره من أعيانهم إلى مصراتة. ولكن هذا لم يمنع رمضان أن يدعو صفي الدين إلى زيارة مصراتة فدعاه واحتفل بمقدمه وأكرمه غاية الإكرام. ولكنه لم يلبث أن ابتدأ في تمثيل الدور الذي مثله في أورفلة ففرض الضرائب على الجمل 50 فرنكاً، وعلى البقرة 25 فرنكاً وأمر بأخذ الزكاة من الغنم، وطلب أن يسلم إليه كل ما خلفه الطليان في مصراتة من مؤن وذخائر، وهو شيء لا يحصى كثرة. فعارض رمضان في فرض الضرائب بحجة أن الناس لم تُبقِ الحرب عندهم شيئاً، ومن كان منهم في صف القتال مؤونته على نفسه فلا داعي إلى فرض الضرائب. أما الزكاة فلا بأس من أخذها. وأما تسليم الغنائم فهذا شيء غير ممكن، لأن البلاد في حاجة إليها، وهي في ضمانة هيئة منتخبة من أعيان مصراتة وأغنيائهم، ولا يصرف منها شيء إلا بإذن الحكومة وهم مسؤولون عنها أمامها. فلم يقتنع صفي الدين بهذا واستمر على مطالبه، واستمر رمضان في معارضته.

ومن هنا نشأ الخلاف بين رمضان وبين صفي الدين. وانضم بعض الناس الذين كانوا ينازعون رمضان الرياسة إلى السيد صفي الدين، وأصدر أمره بأن رمضان «مهجور» على عادة السنوسية فيمن غضبوا عليه. واشتد الخلاف بين الفريقين، فاجتمع الناس في يوم وخطب فيهم صفي الدين وقال لهم: إني هجرت رمضان السويحلي وعزلته من وظيفته. فأجابوه بلسان واحد: لا نرضى بعزل رمضان بك، ولا حاجة لنا بالسنوسية في بلادنا،

ويجب أن تخرج منها في هذا اليوم. فلم يسع صفي الدين إلا الخروج وقصد أورفلة حيث يقيم وكيله أحمد التواتي.

ولم يلبث صفي الدين أن جاء إلى ترهونة وأرسل إلى أعيان وعلماء الجبهة الغربية (النواحي والزاوية وزوارة) فحضروا وكان ظاهر الدعوة الزيارة. ولم يُعلمهم بما انطوت عليه نيته من محاربة رمضان، واجتمع الكل في مسلاتة. فما شعروا إلا وأحمد التواتي (وكيل السيد صفي الدين) يقدم إليهم فتوى مصدّرة بقول الشاعر:

أترجو أُمةٌ قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

مضمونها أن رجلاً عصى الحكومة السنوسية وأهان الأشراف.. هل يُقتل أم لا؟ فاستغرب الناس هذه الفتيا، ثم فهموا أخيراً أن المقصود بها رمضان السويحلي. فقالوا لصفي الدين: يجب أن نتصل برمضان، فإن وجدنا الحق معه فنحن لا نحاربه، وإن وجدناه ظالماً رجعنا إلى بلادنا وأرسلنا إليك رجال الحرب، لأننا جئنا للزيارة فقط. فأصر التواتي على محاربة رمضان، ومنعهم من الذهاب إليه. وأخيراً توسل الشيخ سوف والشيخ عمر المنصوري وسلطان بن شعبان وغيرهم بحجة زيارة سيدي عبد السلام، فأذن لهم. واجتمعوا في زيارتهم برمضان فاقتنعوا بوجهة نظره، وأن الذي أحدث هذه الفتنة هو أحمد التواتي على حساب صفي الدين.

ومما قاله لهم رمضان: إني مستعد لتوريد كل ما يلزم السيد صفي الدين من أرزاق على شرط أن يتخذ له جبهة أمام العدو. ولمّا عرضوا هذا على صفي الدين رفضه وأصر على محاربة السويحلي، فرجع الأعيان كل واحد إلى بلاده وهاجم رمضانُ صفي الدين فانسحب هذا إلى ترهونة، ومنها إلى أورفلة، فلحقه رمضان هناك وأجلاه عنها، وقبض على أحمد التواتي فقتله. وترتب على هذا أن منع رمضان السيّد أحمد من دخول مصراتة حينما منعه السيد إدريس من دخول برقة بعد أن لم يوفق في هجومه على الحدود المصرية.

وقد حاول نوري باشا إقناع رمضان بدخول السيد أحمد مصراتة، وأنه يفيد الحركة سياسياً وأدبياً. وقد أيده الأستاذ عبد الرحمن عزام في هذه الفكرة، ولكن رمضان أصر على فكره خوفاً من وقوع مثل ما وقع مع صفي الدين.

واستمرت هذه الحال السيئة إلى جمادى الأولى سنة 1340 حيث اجتمعت وفود الطرابلسيين والبرقاويين في سرت وزال كل خلاف.

هذه هي أسباب الخلاف ذكرناها بكل اختصار وللمنصف أن يحكم لمن شاء وعلى من شاء.

مؤتمر سرت:

بمناسبة ما أحدثه صفي الدين السنوسي في مصراتة من فتنة كانت سبباً في طرده منها، قُتل أحمد التواتي رأس الفتنة. وقد تركت هذه الفتنة حزازات في النفوس بين الطرابلسيين والبرقاويين.

وبما أن طرابلس كانت ما زالت تعاني من ويلات الحرب، وأن إدريس عقد معاهدة صلح مع الإنجليز والطليان، وجعله الطليان أميراً على دواخل برقة - انفصلت برقة عن طرابلس مما زاد الحالة سوءاً.

وأقدم إدريس على المفاوضات والمعاهدات بدون أن يستشير الطرابلسيين أو يأخذ رأيهم في شيء. وكان انفصالياً في جميع أعماله في برقة بكل ما في كلمة الانفصال من معنى.

لهذا كله فقد أدرك محبو الخير من الطرابلسيين والبرقاويين أن استمرار الجفاء بين البلدين لا يزيد الحال إلا سوءاً، ولا يستفيد منه إلا العدو، فاقتنعوا في قرارة نفوسهم بأنهم في أشد الحاجة إلى إزالة هذا الجفاء.

وما أن ابتدأوا سعيهم إلى الاتفاق حتى وجدوا ميلاً من الطرفين سهّل عليهم مهمتهم. واتفقوا على أن يجتمعوا في سرت في جمادى الأولى سنة 1340هـ الموافق يناير 1922م.

تأليف الوفود:

تألف الوفد البرقاوي من الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصة، والشيخ صالح السنوسي ابن عبد الهادي البراني.

وتألف الوفد الطرابلسي من السيد أحمد السويحلي، والأستاذ عبد الرحمن عزام، وعمر أبي دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، والصويعي الخيتوني، والحاج صالح بن سلطان.

واجتمع الوفدان في سرت، في جمادى الأولى سنة 1340 الموافق يناير سنة 1922م.

وبعد أن بحثوا أسباب الخلاف وما أدى إلى هذا الشقاق، رأوا أن التمادي في هذه الحال مضر بمصلحة الطرفين، ومؤدٍ بالبلاد كلها إلى مصير سيء، فاتفقوا على توحيد الكلمة بين طرابلس وبرقة، وزال كل خلاف، وعادت المياه إلى مجاريها. واقتنع كل من الفريقين بأن هذه الوحدة تكسب البلاد قوة مزدوجة، تمكنها من الصمود أمام العدو. وكتبوا بينهم معاهدة التزم كل من الطرفين بتنفيذها وهذا نصها:

(الحمد لله المبدىء المعيد، الفعال لما يريد، ألّف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير أُمة للعالمين. والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة الذي جاء يدعو إلى العزة والإباء، ويعلمنا كيف نقاتل الأعداء.

وبعد. فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة، المفوضين من قبل طرابلس وبرقة، وقررنا بعد مداولة الفكر الموادّ الآتية، المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السرّاء والضرّاء.

1 - يجب أن نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا، وضد المفسدين.

2 - يجب أن يكون عدونا واحداً، وصديقنا واحداً.

3 - إن كافة ما وقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به أحدُ الآخر، إلى

أن تستقر الحالة في الوطن، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المسامحة بين العربان، ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابع لها أن تعاقبه بما يستحق.

4 - كل من يخالف الجماعة، ويدس الدسائس الأجنبية، على الحكومة المنسُوب إليها إعدامُه، ومصادرة أمواله حسب الشريعة الاسلامية.

5 - يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضي بتوحيد الزعامة في البلاد، ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم، تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.

6 - يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة، وأن تكون توليةُ الأمير بإرادة الأمة.

7 - متى تحققت الغايةُ المذكورة في المادة الخامسة، يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين لوضع القانون الأساسي، والنظم اللازمة لإدارة البلاد. . . وقبل ذلك، وتمهيداً لهذه الأعمال، يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوباً للبلد الآخر لأجل أن يشتركا في سياسة البلاد والتدابير المقتضاة للدفاع عن الوطن.

8 - يتعهد الطرفان بألاّ يعترفوا للعدو بسلطة، وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتحصن فيها الآن. وفي حالة وقوع حرب يتضافر الفريقان على حرب العدو، وألاّ يعقد صلح أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.

9 - إذا خرج العدو من حصونه مهاجماً جهةً من الجهات، وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجَم بالمهمات الحربية والمال والرجال. وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز، وإذا لم ينكفّ تهاجمه هي بدورها.

10 - تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة، في شهري المحرّم ورجب للنظر في مصالح البلاد.

11 ـ يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية في جهة طرابلس.

12 ـ مهمة الهيئة المذكورة[8] تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الاتفاقية.

قصر سرت، يوم السبت 22 من جمادى الأولى سنة 1340 (21 يناير سنة 1922).

التوقيعات

عن طرابلس	عن برقة
أحمد السويحلي	صالح الاطيوش
عبد الرحمن عزام	نصر الأعمى
عمر بو دبوس	خالد القيصة
محمد نوري السعداوي	صالح السنوسي
الشتيوي بن سالم	عبد الهادي البراني
الصويعي الخيتوني	صالح بن سلطان

وبينما كان الوفدان مجتمعين في سرت نزل الجيش الإيطالي في قصر حَمد بمصراتة، واستؤنفت الحرب. ووقعت معارك من أشد المعارك التي وقعت في مصراتة، ولم تنفذ برقة شيئاً من معاهدة سرت، سوى الممثل المنصوص عليه في المادة السابعة، فقد أرسلت حكومة برقة الشيخ عبد العزيز العيساوي ممثلاً لها في مصراتة.

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة حصلت هدنة بين الطليان والطرابلسيين وشرعوا في مفاوضات[9] للوصول إلى اتفاق يكفل الراحة

(8) في المادة العاشرة.

(9) تعرف هذه المفاوضات بمفاوضات «بئر عبازة» وهو مكان إلى جنوبي مدينة طرابلس بنحو

للطرفين. وفي أثناء المفاوضات رأت هيئة الإصلاح المركزية أن تعيِّن أميراً، تنفيذاً لما قرر في مؤتمر غريان ومؤتمر سرت لتكون إيطاليا أمام الأمر الواقع. ولما لم يكن من الممكن إذ ذاك أن تفكر الأمة في انتخاب غير إدريس السنوسي ـ لأن أهل برقة ما كانوا يخضعون لغير السنوسيين، ولأنه كان مهيّأ لها بنصب إيطاليا إياه أميراً على دواخل برقة بمقتضى معاهدة الرجمة سنة 1920 ـ لهذا لم يكن بد لسكان طرابلس من انتخابه في ذلك الوقت العصيب الذي اشتدت فيه وطأة العدو عليهم، والذي لا يتسع للتفكير في غيره. فانتخبت الهيئة المذكورة السيد إدريس أميراً وأبلغت المفاوض الإيطالي ذلك. ولما أبلغه إلى حكومته رفضته، وأصر الطرابلسيون على تنفيذه وأصر الطليان على رفضه، فكان الصخرةَ التي تحطمت عليها آمال السلم. واستؤنفت الحرب يوم الجمعة من أواخر شعبان سنة 1340. وأرسل الطرابلسيون وفداً[10] إلى السيد إدريس في أجدابية يطلبون قدومه إليهم لمبايعته بالإمارة، فوصلها في شوال سنة 1340 وتقابل معه وأبلغه دعوة الأمة الطرابلسية لمبايعته. فاعتذر عن الذهاب بأن صحته لا تساعده على الذهاب في فصل الحرّ وأخّر إجابة الدعوة إلى فصل الخريف وبرودة الجو. فرجع

ثلاثين كيلو متراً. وكان المفاوض من ناحية الحكومة الإيطالية بيله وترجمان الوالي، ومن ناحية الحكومة العربية هيئة الإصلاح المركزية برياسة أحمد بك المريض.

(10) يتألف هذا الوفد من الشيخ محمد بن حسن، والشيخ محمود المسلاتي، والشيخ الطاهر الزاوي. وكانت علاقة السيد إدريس بالطليان إذ ذاك علاقة حسنة. وبعد أن أفهم السيد إدريس الوفد أن الزيارة ستتأخر إلى أن تتحسن صحته سافر إلى جردس العبيد، وقال إنه يريد مقابلة وزير المستعمرات للمذاكرة معه في شؤون الوطن. وفي آخر اليوم الذي سافر فيه أبلغ السيد صفي الدين الوفد على لسان السيد الرضا ـ وكيل السيد إدريس، وكان حاضراً ـ أن السيد إدريس سافر لمقابلة وزير المستعمرات وهو يرجو الوفد أن ينتقل من اجدابية إلى «الطبيل» ـ مكان شرقي اجدابية على مسافة ساعتين لا شيء فيه إلا الرمال تذروها الرياح على من نزل فيه ـ نظراً لما بينه وبين إيطاليا من الاتفاق، ووجود الوفد بأجدابية مضرّ بهذا الاتفاق. وظل الوفد في الطبيل في انتظار جواب من السيد إدريس، وبعد نحو 15 يوماً جاءه جواب مع الشيخ صالح الأطيوش يصرح فيه للوفد بالسفر وهو على عهده في الزيارة حينما تتحسن صحته ويذهب الحر، فرجع الوفد إلى مصراتة.

الوفد إلى مصراتة في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة. وفي صفر سنة 1341 أرسلوا إليه وفداً آخر يحمل كتاب البيعة فوصل أجدابية في ربيع الأول وقدم إليه كتاب البيعة فقبلها بعد أن قطع على نفسه العهد بأنه يقف حياته على خدمة الوطن. وهذا نص كتاب البيعة، ويليه نص كتاب الرد عليها.

نص كتاب البيعة

إلى سمو مولانا الأمير الجليل السيد محمد إدريس حفظه الله ورعاه تحية تليق بالمقام الرفيع والجناب الأسنى المنيع. وبعد فإنه غير خافٍ على سموكم أن الخلاف لم يزل قائماً بيننا وبين الحكومة الإيطالية. ذلك لأنها وجهت عزمها إلى العبث بجميع حقوقنا شرعيّها وسياسيّها وإداريّها. وجعلت من قوتها مبرراً للتصرف في مصيرنا وحقوقنا الطبيعية، ونحن خير أمة أُخرجت للناس لا نتحمل ضيماً، ولا نرضى أن تضمحل شريعتنا، ولا أن يتطرق الخلل إلى ديننا القويم كائناً ما كان، الأمر الذي حملنا على ركوب الأخطار واقتحام الحروب المتوالية، معتمدين على قوة الحق إلى أن نظفر بتحقيق أمنيتنا القومية. . ألا وهي تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاث الدينية والسياسية والعسكرية، مع مجلس نيابي تنتخب الأمة أعضاءه، وبهذا يسلم وطننا ويتم أمر ديننا وتصلح أحكام قضاتنا، ويحفظ شرعنا وعنعنة تاريخنا الباهر. وهذا لا ينافي ما تدعيه إيطاليا وما دأبت عليه في خطب رجالها من أنها لم تحتل ديارنا بنيّة الاستعمار، وإنما ساقتها دواعي السياسة الدولية في البحر المتوسط. ولو كانت صادقة في دعواها هذه لما عرَّضت بلادنا للخراب بتوالي المهاجمات واستعمال دهائها وقدرتها للتفريق والفوضى. وقد حاولت فصلَ الأمة بعضها عن بعض بطرق مختلفة وأبى الله إلا أن يجمع كلمة القطرين الشقيقين بأن يلتفا حول أمير واحد يرضيانه.

وحيث كان سموكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجمّع في ذاتكم الشريفة من المزايا العالية والأوصاف الجليلة فإن «هيئة الإصلاح المركزية» الحائزة للوكالة المطلقة من «مؤتمر غريان» الذي يمثل الأمة الطرابلسية بانتخاب واقع منها قد وجدت في سموكم أميراً حازماً قادراً على جمع الأمة حائزاً للثقة العامة محبوباً، فهي لذلك تبايع سموكم أميراً للقطرين، طرابلس وبرقة، على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها.

على أن مبايعتكم كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في «سرت» وكان السبب في تأخير تحقيقها طوارىء الحرب التي طوّحت بكل واحد من أعضاء الهيئة ورجال القطر في منطقة شاسعة من المناطق الحربية.

وبهذه المبايعة إن شاء الله أصبح سموكم الأمير المحبوب للقطرين المباركين. ومتى سنحت الفرصة عند تشريفكم إيانا حسب رغبة الأمة تقام لكم مظاهر هذه البيعة في موكب لائق بسموكم.

والله سبحانه وتعالى يمدكم بروح من عنده ويجعل البركة في البيت السنوسي المؤسس على التقوى والصلاح.

في 3 ذي الحجة سنة 1341.

رئيس هيئة الإصلاح المركزية

أحمد المريض

مستشار هيئة الإصلاح المركزية

عبد الرحمن عزام

الأعضاء:

محمد بن عمر

عثمان القيزاني

بشير السعداوي

عمر بو دبوس

حسين بن جابر

محمد صادق بن الحاج

محمد فرحات

محمد مختار كعبار

عبد الرحمن زبيدة

محمد فكيني

محمد التايب

الصويعي الخيتوني

سالم البحباح

الأعيان:

محمد الديب

فرحات القاضي

محمد سوف

محمد القرقني

عمر ضياء

أحمد السني

علي بو حبيل

البغدادي بن معيوف

أحمد الشتيوي

محمد الصغير المريض

محمد سعدون قائد الجيش الوطني

نص الرد على كتاب البيعة

من خادم الملة الإسلامية محمد إدريس المهدي السنوسي إلى أصحاب السعادة رئيس هيئة الاصلاح المركزية وأعضائها وعموم الموظفين ورؤساء الجيوش وكافة الأعيان والأهالي الطرابلسيين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد تناولت بيد الشكر عريضتكم التي أظهرتم فيها رغبتكم الخالصة في تحقيق غايتكم التي أجمعتم عليها في مؤتمر غريان، وجاهدتم لها جهاداً صادقاً بالأنفس والثمرات في شخصي فأخذتها داعياً الله أن يحقق آمال هذه الأمة ويكلل مساعيها كلها بالنجاح.

ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول، وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها، فعليّ إذن أن أعمل بجد معكم. ولكن لا تنسوا أنني بغير إقدامكم وجدِّكم لا قدرة لي على شيء.

إني أعلم أن الحياة الخالدة هي للأمم لا للأفراد، وكذلك الأعمال العظيمة الباقية هي التي تنصرف إلى صالح الجميع، فلذلك أدعوه سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى كل عمل ثمرته للأمة.

إن من حق كل شعب أن يسيطر على شؤونه، والناس منذ نشأوا أحراراً. وقد أظهر شعبنا في كل أدواره مقدار محبته للحرية فدفع مهورها

غالية، فلا يصح لأحد أن يطمع في استعباده والاستبداد بشؤونه.

لقد اشترطتم عليّ الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها. هذا وقد رأيت أن أقرَّ الأمور على ما هي عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد، فلذلك أكِل إلى الهيئة المركزية لما أبدت من الحمية والعدل والدراية أن تستمر على إدارة شؤون القطر الطرابلسي، ولي الثقة العظيمة في حكمة رئيسها البطل الحازم أحمد بك المريض ورفقائه والرؤساء الكرام الذين أيدوا مساعي الهيئة المليَّة أن يتحملوا مشاق المسؤولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيدوه.

وأسأله تعالى أن يمد الجميع بعنايته وأن يثبّت الأقدام ويقهر الأعداء ويمنَّ بالنصر الموعود إنه على ما يشاء قدير.

في 22 ربيع الأول سنة 1341

الامضاء محمد إدريس المهدي السنوسي

سفر إدريس إلى مصر:

وما لبث إدريس بعد وصول كتاب البيعة إليه وقبولها أن ترك البلاد وسافر إلى مصر بحجة أنه مريض ويريد أن يعرض نفسه على الأطباء.

فقد غادر أجدابية في اليوم الثاني من جمادى الأولى سنة 1341، وفي يوم 13 منه وصل إلى جالو، ثم أخذ طريق الصحراء إلى الجغبوب فوصلها يوم الجمعة 24 منه. وفي يوم 30 منه وصل إلى سيوه. وفي يوم 4 جمادى الآخرة وصل إلى مطروح. وفي يوم 8 منه وصل إلى مريوط واستقل قطاراً أعدته له الحكومة المصرية إكراماً له. وفي الساعة الثالثة والربع من مساء يوم السبت 10 منه وصل القاهرة واستُقبل فيها استقبالاً فخماً من أهل الفضل في مصر ورؤساء العرب فيها ووجهائهم، ومن أدباء السوريين والعراقيين والفلسطينيين، وأرسل جلالة الملك فؤاد مندوباً خاصاً لمقابلته وفتح له الباب

الملكي، وأكبرته الأقطار العربية إكباراً تجلى في وفودها التي تتابعت لزيارته والترحيب بأمير برقة وطرابلس في دار السيد محمد الشريف الإدريسي الميرغني.

وكانت هذه الوفود العربية تنتظر منه بياناً عن الحركة الوطنية في طرابلس ومجرى السياسة الإيطالية فيها، ولكنه لم يفه بكلمة في هذا الموضوع، ولو فعل لأدى لطرابلس خدمة لا تقل فائدة عن الجهاد بالسيف والمدفع. وكان سكوته محل استغراب من جميع زعماء الأقطار العربية.

وقد نشرت الأهرام إذ ذاك أن الكشف الطبي الذي أجراه له عبد الوهاب بك وحامد واصف بك وأحد الأطباء النمساويين أثبت أن صحة سموه حسنة وقد زادت تحسناً، ولم يجد الأطباء مرضاً معيناً يقضي بالمعالجة أو قلق البال. وبمثل هذا العذر يبرر إدريس سفره إلى مصر ويترك أمة بأسرها على شفير الهاوية بعد أن قلدته أمرها ومدت إليه يد البيعة فبايعها.

وما كاد يذيع في الناس خبر سفر إدريس إلى مصر حتى فترت الهمم وحلّت العزائم، ووقعت البلاد في هاوية لم تصل إلى قرارتها بعد.

وأخلف إدريس وعده، وخان عهده، ولم يف بشيء مما اشتُرط عليه في وثيقة البيعة، ولا بما ألزم به نفسه في كتاب الرد عليها.

وكان أنصار إدريس ـ من أصحاب تلك الأقلام المأجورة ـ يزعمون أن بيعة إدريس لازمة. وفاتهم أنها بيعة مشروطة لا يلزم المبايَع الوفاءُ بها إلا إذا وفّى المبايَعُ له بما اشترط عليه في وثيقة البيعة، وبما اشترطه على نفسه في كتاب الرد عليها.

ومن جهة أخرى فإن إدريس لم يقم بأي عمل ـ منذ أن بويع بالإمارة ـ فيه مصلحة لليبيا يستند فيه إلى كونه أميراً لها، كما أنه لم تتصل به أية حكومة، وخاطبته بصفته أميراً لليبيا.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية - وكان إذ ذاك في مصر - اتصل بالإنجليز وعرض عليهم أن يقدم لهم من الشعب الليبي من يساعدهم في الحرب، فاستجابوا لهذه الرغبة منه، وخاطبوه باسمه إدريس السنوسي، لا بصفته أميراً على ليبيا. ولم يعترفوا بإمارته على برقة وطرابلس وقد تعرضتُ لهذه المسألة في (الكتاب الأبيض) الذي نشرته اللجنة الطرابلسية في القاهرة سنة 1949م وبينت حقيقتها.

* * *

أما إيطاليا فإنها لم تكد تسمع ببيعة الطرابلسيين لإدريس حتى قطعت معه كل علاقاتها، واستؤنفت الحرب في برقة، فكان السيد عمر في مقدمة المحاربين، وأول من وقف في وجه الطليان.

السيد عمر في الجبل الأخضر:

ولما بويع إدريس بالإمارة عيّن السيد عمر قائداً لمنطقة الجبل الأخضر فباشر عمله، وأخذ في تنظيم أموره. ولكن سفر إدريس إلى مصر عقب البيعة بنحو أربعين يوماً أحدث اضطراباً عاماً في ليبيا كلها، وضعفاً في نفوس كل الشعب.. لهذا لم ينتظم أمر السيد عمر كما ينبغي، فاضطر إلى أن يلحق بإدريس في مصر ليستطلع رأيه فيما أصاب الأمة الليبية من فشل بأسباب سفره، وهل هو يعتزم العودة إلى الوطن ليفي بعهد الإمارة التي أصبحت أمانة في عنقه أمام الله، وأمام الأمة العربية جمعاء، أو هو لا ينوي العودة وعلى الليبيين أن يتولوا مصلحتهم بأنفسهم.

فجاء السيد عمر إلى مصر في مارس سنة 1923 وقابل السيد إدريس وشرح له ما أصاب الأمة الطرابلسية بسبب سفره من بلاء، ولكنه لم يحظ منه بأمر حاسم، فأيقن السيد عمر بعدم رجوعه إلى طرابلس، وعلم أن

تعليق الآمال على رجوعه لن يحقق شيئاً من تخفيف البلاء النازل بالوطن. فأجمع أمره ورجع إلى برقة ليتشاور مع رؤساء العرب فيما يجب عمله لمصلحة بلادهم.

وبينما هو راجع في طريقه إلى برقة عرض له الإيطاليون في ثلاث سيارات مسلحة بجهة «أبيار الغُبَي[11]» للقبض عليه، وقد دافع عن نفسه وانتصر على من في السيارات الثلاث فقتلهم وأخذ ما معهم. وقد استمر في طريقه إلى أن وصل إلى معسكر المغاربة بناحية زاوية القطوفية حيث يوجد الشيخ صالح الأطيوش، والشيخ الفضيل المهشهش. وفي هذا الوقت كان السيد الرضا في جالو نائباً عن أخيه السيد إدريس في إدارة شؤون الحرب، فذهب إليه السيد عمر، وفي أثناء إقامته عنده حصلت معركة البريقة، وكان ذلك في ذي القعدة سنة 1341.

(11) بضم الغين وفتح الباء.

معركة البريقة

تسمى هذه المعركة معركة البريقة، ومعركة سيدي بلال، والبريقة وسيدي بلال مكانان متقاربان يقعان في جنوبي أجدابية الغربي فنُسبت المعركة لكل منهما، والبريقة على مسافة 85 كيلومتراً من أجدابية. وتسمى أيضاً واقعة الكراهب، والكرهبة عند البادية هي السيارة، ونُسبت الواقعة إليها لكثرة عدد السيارات الحربية فيها لأنها تقارب المائة بين دبابات ومدرعات وحمالات.

سبب المعركة

وسببها أنه لما قبل السيد إدريس البيعة بالإمارة أعلنت إيطاليا عليه الحرب واحتلت أجدابية التي كانت مركزاً له في 9 رمضان سنة 1341. واجتمع المغاربة ومن انضم إليهم حوالي زاوية القطوفية وهي إلى جنوبي أجدابية بنحو مرحلة، وصاروا يناوشون الطليان في أجدابية ويقلقون راحتهم. فلم ير الطليان بداً من محاربتهم فخرجوا عليهم في يولية 1923 في جيش لا يقل عن خمسة آلاف مجهز بجميع المعدات والآلات الحديثة، ومعه نحو مائة سيارة من المدرعات وغيرها. فالتقوا به في البريقة، ونشبت المعركة بين الفريقين، وكانت الدبابات أول ضحية هذه المعركة لأن طبيعة الأرض لم تساعدها على القيام بمهمتها، وأمطرها المجاهدون وابلاً من الرصاص ففسدت عجلاتها فانقضوا عليها وقتلوا من فيها. واستعَر القتل بين الفريقين

وصمد المجاهدون لهذا الجيش العرمرم، فما هي إلا ساعة حتى ذهب الله بريحه وولى الأدبار، فركبوا أقفيته فلم ينج إلا نفر قليل تمكنوا من الهرب. وكان الفضل في هذه المعركة للمغاربة، وقد أبلوا فيها بلاء حسناً وأظهروا فيها من الشجاعة والاستبسال ما يسجله لهم التاريخ بمداد الفخر. وقد استشهد في هذه المعركة من فرسانهم المبرزين في الشجاعة الشيخ إبراهيم الفيل، والشيخ نصر الأعمى، والشيخ مهدي الحرنة. وكانت هذه المعركة بقيادة الشيخ صالح الأطيوش[12] والشيخ الفضيل المهشهش، وقجه[13] عبد الله. وقد أظهروا فيها ما يشكرون عليه.

وبعد هذه المعركة رجع السيد عمر إلى البريقة حيث معسكر المغاربة ساخطاً على الرضا، ناقماً منه سوء إدارته واستسلامه لآراء من حوله ممن لا يهمهم إلا مصالحهم الخاصة. وقد اتفق السيد عمر مع الشيخ صالح الأطيوش أن يأخذ معه نفراً من المجاهدين ويذهب بهم إلى الجبل الأخضر ويؤسس بهم معسكراً هناك. وقد تم هذا الرأي، وذهب السيد عمر في نفر من المجاهدين واستقر بهم في الجبل الأخضر. ولم يلبث أن توافدت عليه الناس من كل صوب. ومن هذا الوقت ابتدأ أمر السيد عمر في هذا الدور الأخير من جهاده عليه رحمة الله.

(12) بكسر الطاء.

(13) قجة ـ بضم القاف وفتح الجيم مشدداً ـ: عبد من عبيد السنوسية اشتهر بالشجاعة في حروب برقة، وكان له ذكر حسن بين الناس.

الجبل الأخضر

هو لبنان طرابلس، والجنة المفقودة «هسبريد» التي كان قدماء اليونان يتغنَّون بها في أشعارهم، والغابة الوحيدة في ليبيا، وهو المكان الذي زين الله به برقة فكان محل القلادة من جيدها.

والجبل الأخضر هو تلك المروج الخضراء، والجنان ذات الظلال الوارفة الممتدة من سهول مدينة بنغازي إلى الشرق على مسافة 400 كيلومتر تقريباً. وحيثما توجهت في الجبل الأخضر وقع نظرك على مروج خضر كالزمرّد. وغاب أشب ملتفّ عظيم السرح فينان الدوح، يسير الراكب فيه ليالي وأياماً وهو في ظل الشجر، وأرضه مغطاة بأنواع الأشجار المتكاثفة من الزيتون والصنوبر، وأنواع كثيرة من الغار. وفيه الشيء الكثير من الآس والأرز والعفص والقطلب والدفلا، وأنواع كثيرة من الورد البري الأبيض والأحمر، وغيرها من أنواع السندروس والعرعر وزهر العسل الذي يعطر الأرجاء بما ينبعث عنه من الروائح الزكية. وعلى طول الجبل من ناحية ساحل البحر تجد الأنهار الجارية والعيون النابعة ما يخجل لصفائه نيل مصر وبردى الشام.

ولا تقل هذه العيون النابعة المنتشرة على طول 400 كيلومتر عن 55 عيناً، وأكثرها يكون أنهاراً كنهر درنة الذي يتكون من عينين، ونهر ماره الذي يتكون من 25 عيناً، ونهر كرسة وغيرها من الأنهار التي جمَّل الله بها الجبل الأخضر.

وقد مرت على هذا الجبل أحقاب وتداولته أمم كان مركزَ الحياة من جسمها.

ومن أجمل عيون هذا الجبل عين شحات، وهي تبعد عن البحر مسافة ساعتين إلى الجنوب. وشحات جبل يتفجر الماء من مغارة في رأسه وينحدر في شفير علوه نحو 300 متر، وهو من أجمل مناظر الدنيا.

وشحات في الأصل هي «سيرينا» الشهيرة التي بناها التيريون من اليونان سنة 630 أو 661 قبل المسيح، وكانت تضاهي قرطاجنة وإليها ينسب الفيلسوف «اريستيب» الذي نسبت إليه الفلسفة السيرينية. وقد خرج منها عشرون ملكاً، وبقيت دولتهم مائتي سنة.

هذا وإذا أردنا الإتيان على وصف الجبل الأخضر بما أفاض الله عليه من جمال فدون ذلك يقف القلم. ولكنها نبذة جاءت عرضاً لمناسبة ما أُريق فيه من دماء الشهداء، وما فيه من آجام كان يأوي إليها السيد عمر المختار ومن معه من أُسود المجاهدين مما جعلنا نعرِّفه بمثل هذه النبذة ليعرف الناس ما هو الجبل الأخضر.

تنظيم الحركة وبدء الجهاد

رجع السيد عمر من برقة إلى الجبل الأخضر عقب واقعة البريقة بنفر قليل من المغاربة واتخذ له الجبل الأخضر مقراً. ولم تمض فترة من الزمن حتى انضم إليه كثير من رؤساء القبائل، واجتمع إليه الناس من كل صوب، فأخذ في تنظيم أمره وعيَّن لكل قبيلة رئيساً منها: فعيَّن لقبيلتي الحاسة والعبيدات الفضيل بو عمر، ولقبيلتي البراعصة والدرسة حسين ابن مفتاح الجويفي البرعصي، ولقبيلتي العبيد والعرفة يوسف بو رحيل المسماري واتفق هؤلاء الرؤساء جميعاً على أن يكون السيد عمر قائداً عاماً ورئيساً على كل المجاهدين، وتم الأمر على ذلك وعقدوا الخناصر على الجهاد في سبيل الله إلى آخر نفس من حياتهم أو يخلّصوا وطنهم من العدو.

ابتدأت حركة السيد عمر المختار في الجبل الأخضر صغيرة ككل شيء في الوجود، ثم نمت وبلغت أشدها في أقصر زمن يمكن أن تبلغه فيه حركة مثلها. . ذلك بما كان يغذيها به السيد عمر من ذكائه المتوقد وتدبيره المصيب، وما يحوطها به من جهوده الجبارة في وقايتها من الهزيمة أمام العدو حتى لا يتسرب الفشل إلى ضعاف العقول. فكان التوفيق يصحبها في كل تطوراتها مما شجع المجاهدين وقوّى في نفوسهم حُبَّ التضحية في سبيل إعلاء كلمة الله وإنقاذ الوطن.

فما شعر الإيطاليون حتى وجدوا أنفسهم أمام جيش يهاجم حصونهم، ويغزو معاقلهم التي تحميها مدافع الأسطول، وإذ ذاك أخذوا يفكرون فيما

يقيهم هذا الخطر الداهم الذي لم يكن في حسابهم.

مجاهدو مصراتة في الجبل الأخضر:

وقد انضم إلى السيد عمر - وهو في الجبل الأخضر - جماعة من مصراتة، ممن تدربوا في جيش مصراتة، وتمرّسوا بقتال الطليان، بعد أن هاجر من بقي من حكومة مصراتة ومن معها من نفد إلى مصر، وكانوا حوالي مائة وسبعين مجاهداً، استشهد منهم مع السيد عمر نحو مائة.

وحينما كان هؤلاء الجماعة في برقة في طريقهم إلى مصر للهجرة إليها، عزّ عليهم أن يتركوا وطنهم وفيه من يقوم بواجب الجهاد، فثارت فيهم الروح العسكرية وانضموا إلى السيد عمر، وكان معهم بعض السلاح الذي كانوا يستعملونه في مصراتة. ونذكر من هؤلاء المواطنين:

محمد الرملي. ضابط.

سليمان الطالب. ضابط.

يوسف بن مليطان.

المهدي انبيص.

أحمد الشعافي. ضابط مدفع رشاش.

الهادي الزليطني. ضابط مدفع رشاش.

وكثير غيرهم ممن كانوا في جيش مصراتة.

ومما يؤثر من كلام السيد عمر المختار ما جاء في رسالة أرسلها إلى إدريس السنوسي في مصر، قال له فيها: (لن أبرح الجبل الأخضر مدة حياتي، ولا يستريح الطليان فيه حتى يواروا لحيتي في التراب).

التفكير في القضاء على السيد عمر:

وأول ما فكر فيه الإيطاليون لتقويض هذا البناء الذي أحكم بنيانه السيد عمر أن يتوصلوا إلى استمالة الرؤساء بالأماني والوعود بما يشتهون من جاهٍ ومال، والعفو عما أتوه من القيام في وجه الحكومة. وفي الوقت نفسه كانوا يهددون السيد عمر بقوتهم وإنهم قادرون عليه إن لم يسلِّم نفسه. وكان الذي يوصل هذه البلاغات وهذه الأماني الطيارات تارة، والوفود تارة أخرى. فأرسلوا جواباً في ربيع الآخر سنة 1345 مع عبد النبي القبائلي باسم مشايخ العبيدات ملأوه بجميع أنواع التهديد فيما إذا لم يَفُوا بوعودهم، ولم يذكروا فيه اسم السيد عمر ظناً منهم أنهم يستميلونهم إليهم حتى إذا ما وجدوا فرجة بين الطرفين دخلوا منها وضربوا فريقاً بيمينهم وفريقاً بشمالهم. ولكنهم لم يفلحوا. وقد ذكروا في هذا الجواب أنهم لا يهاجمون المجاهدين إلا بعد سبعة أيام وهي المدة الكافية لرد الجواب.

وقد رد المجاهدون عليهم بمثل جوابهم، وإنهم مستعدون لمقاومتهم إلى آخر لحظة من حياتهم إن أصر الإيطاليون على اغتصاب حقوقهم، كما أنهم مستعدون للجنوح للسلم إن أرادوا السلم.

أول هجوم للإيطاليين:

أرادت إيطاليا أن تجرب القوة، فهاجمتهم قبل مضي السبعة الأيام التي وعدت بعدم الهجوم خلالها. فصمد لها المجاهدون، ورجع الجيش الإيطالي مخذولاً، وكان هذا الهجوم رداً على جواب المجاهدين. وعقب المعركة أرسلت إيطاليا وفداً فيه عبد القادر بو بريدان، ومحمد بو حامد، وشعيب بو عزاق. وجاء بعدهم العلمي الغماري في وفد، وموسى الفحاصي في وفد، وكلهم يفاوضون في شأن التسليم للحكومة الإيطالية على أن تعفو عن كل من التجأ إليها. واستمرت الوفود نحو ثلاثة أشهر وكلها تضرب على نفس النغمة والمجاهدون لا يأبهون لهذه الوعود ولا لتلك التهديدات.

ولما لم يُفد الوعد ولا الوعيد التجأت إيطاليا إلى الشدة وتابعت الهجوم على المجاهدين، ووقعت وقائع كبيرة من أشهرها معركة الرحيبة التي أُسر فيها كثير من الجيش الإيطالي، وواقعة عقيرة المطمورة، وواقعة كرسة[14].

واقعة عقيرة المطمورة:

كانت هذه الواقعة في شوال سنة 1345 واستشهد فيها الشيخ محفوظ الأرفلي، والشيخ عبد الرحيم بوهزاوي وآخرون. وكان الشيخ محفوظ هذا رجلاً فاضلاً عالماً من الذين أُبلوا في عدة معارك، ومن الذين يشار إليهم في التمسك بدينهم رحمه الله رحمة واسعة.

وكانت الغنائم في هذه الواقعة كثيرة: من آلات حربية وحيوانات ومؤن وغير ذلك.

ومن التوفيق في هذه المعركة أن المجاهدين غنموا مدفعاً وأمكنهم أن يستعملوه ضد عدوهم، فكان ذلك من أسباب فوزهم فيها، والذي استعمل هذا المدفع هو الهادي القماطي من «قماطة مصراتة».

واقعة كرِسَّه:

ومن أشهر الوقائع واقعة كرسه، وكانت يوم السبت 26 ربيع الآخر سنة 1349 وهي التي استشهد فيها ذلك المجاهد العظيم السيد الفضيل بو عمر، وهو من قواد السيد عمر المختار المشهورين ومن الرجال المبرزين في الحرب الطرابلسية الذين اشتهروا بالإخلاص والشجاعة.

كتاب السيد عمر:

وقد ذكر السيد عمر في كتاب له بشأن هذه المعركة ما نصه:

(14) أمكنة بالجبل الأخضر نسبت إليها هذه المعارك.

«وفي يوم السبت 26 ربيع الآخر سنة 1349 هجم العدو على دور العبيدات والحاسة عند نقطة القبنة[15]، وكان رئيسها السيد الفضيل بو عمر، ولما حان وقت صلاة الظهر قسم السيد الفضيل الجيش إلى قسمين فصلّى بالطائفة الأولى صلاة الخوف، فلما أتمت الطائفة الأولى صلاتها ذهبت تجاه العدو وأتت الثانية فأتمّ بها الصلاة، وركب جواده وتقدم يحرض الجيش على القتال وهو يكبّر ويهلل. وهكذا كلما حضرت الصلاة يعمل هذا العمل إلى أن استشهد رحمه الله، وقد استشهد معه أربعون شهيداً، منهم السيد أحمد الغماري، والسيد محمد الصادق الغزالي، والشريف القاسم، وأخوه، وقد وجدنا في ميدان القتال ما ينيف عن 500 قتيل من العدو بينهم «ميجر»[16] وثلاثة ضباط».

(15) بكسر القاف والباء وفتح النون مشددة: موضع بالجبل الأخضر.

(16) رتبة عسكرية.

السيد الفضيل بو عمر

الوقائع الحربية

الوقائع التي حصلت في حروب السيد عمر المختار جد كثيرة. وقد جاء في بيان لغراسياني أن المعارك التي وقعت بين جنوده وبين السيد عمر «مائتان وثلاث وستون معركة في مدة لا تتجاوز عشرين شهراً» وهي المدة التي تبتدىء بتولية غراسياني قيادة الجيش الإيطالي في برقة وتنتهي بموت السيد عمر المختار. فإذا أضفنا إلى هذا العدد الضخم الذي وقع في مدة عشرين شهراً ما وقع قبله من وقائع في مدة عشرين سنة كان السيد عمر يحمل فيها علم الجهاد قاربَ عدد المعارك ألفاً.

ثبات السيد عمر:

استمر السيد عمر هو وتلك الفئة القليلة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه صامدين لهجمات الطليان، والطليان لا يألون جهداً في الوصول إلى القضاء على تلك الحركة التي أصبح خطرها عليهم محققاً. فتارةً يأتونه من قِبل الوعود والأماني المعسولة، وأخرى من ناحية المفاوضات حتى تحل المسألة بطريق ودّي، وطوراً من طريق القوة وسوق الجيوش عليه واستعمال الآلات الجهنمية. ولكنهم لم يصلوا إلى بغيتهم. ومن أواخر شعبان سنة 1340 إلى أن احتُلت جالو في رمضان سنة 1346 كانت الثورة لا تزال منتشرة في الجهة الغربية من سرت شمالاً إلى فزان جنوباً إلى جالو شرقاً. وكانت تشغل قسماً كبيراً من الجيش الإيطالي.

سوق الجيوش على السيد عمر:

وقد رأى الطليان أن التغلب على السيد عمر المختار ليس بالأمر السهل الذي يكفي فيه قسم من الجيش الإيطالي، وأنه لا بد من تضافر القوات عليه والتفرغ لهذه الناحية التي أصبحت لا يخشون غيرها. فاكتفوا لرد هجماته بالحصون التي أقاموها على أسوار المدن وأمامها، وسيّروا جيوشهم إلى ما بقي من أوزاع الثورة في أطراف البلاد، وهي جماعات لا تكاد تُذكر إلى جانب جماعة السيد عمر وموقعها الطبيعي وقيادته الحازمة.

وكما رأى الطليان أنه لا بد من سوق الجيوش كلها على السيد عمر رأوا كذلك أنه لا بد من قطع المواصلات عليه من كل ناحية، وحصره في الجبل الأخضر بحيث لا يتصل بأحد. وقد بدأوا في تنفيذ قطع المواصلات باحتلال الجغبوب، ثم الجفرة، وأوجلة، وجالو، وفزان، والكفرة؛ وكانوا يعتقدون أنهم باحتلال هذه المناطق يشددون الحصار على السيد عمر بقطع موارد الرزق عليه من كل جهة، فيضطر إلى التسليم، فيوفروا على أنفسهم بهذا العمل ما يلاقونه من عناء ببقائه في الجبل الأخضر فاحتلوا الجغبوب.

الجغبوب

جغبوب واحة تقع إلى الجنوب من طبرق على مسافة 300 كيلومتر، تحيط بها صحراء قاحلة قاتلة من الشمال والغرب والجنوب على مسافة سبعة أيام من كل جهة.

وكانت مركزاً للسنوسية قبل الاحتلال الإيطالي، وبها زاوية للسنوسية بنيت سنة 1270 كانت أُعدت لتحفيظ أولاد المسلمين القرآن فيها وتعليمهم العلم، وفيها قبر السيد محمد ابن علي السنوسي جد العائلة السنوسية الأكبر المتوفى سنة 1276 عن 74 سنة. وماء آبارها ملح، وبها عين جارية لا بأس بها وهي التي يشرب منها سكان تلك الواحة. وهي تقع على حدود مصر الغربية الجنوبية بقرب سيوة.

ولما احتلها الطليان احتجت الحكومة المصرية على هذا العمل بحجة أنها من الأملاك المصرية. ثم شُكلت لجنة مختلطة من المصريين والطليان كان إسماعيل صدقي باشا رئيساً لها، واستمرت المفاوضات نحو سنة. وبعد معاينة الحدود اتفق الطرفان على دخولها في الحدود الطرابلسية، وكتبت وثائق رسمية بين الطرفين، وصودق عليها في 20 جمادى الأولى سنة 1344 وأصبحت جغبوب من هذا التاريخ تابعة لإيطاليا.

التمهيد لاحتلال الجغبوب:

كان السيد صفي الدين في الجغبوب عندما أرادت إيطاليا احتلالها،

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

وهي لا يخفى عليها أن الجغبوب مركز من مراكز السنوسية الكبيرة، وتخشى أن يقف في وجهها السيد صفي الدين، وهي تعتقد أن جيشها إذا وقف يومين فقط في تلك الصحراء المحرقة يموت حتف أنفه. فبذلت مجهوداً كبيراً للحصول على أمر من السيد إدريس، المقيم إذ ذاك بالقاهرة، بانسحاب صفي الدين من جغبوب. وقد تم لها ما أرادت بواسطة من أمكنهم التأثير على إدريس، وصدر الأمر وانسحب السيد صفي الدين بناء على الأمر.

وكان لدى صفي الدين عدد كبير من البنادق تركه المهاجرون عندما أرادوا دخول الحدود المصرية، عدا ما يوجد في الجغبوب من قبل، وهي مركز السنوسية الأكبر الذي لا يعتقد إنسان أنها تخلو من السلاح. فترك السيد صفي الدين كل هذا وذهب إلى سيوة بدون أن يتردد في امتثال أمر السيد إدريس.

وكان الواجب على صفي الدين أن يدافع عن الجغبوب. وكان أقوى جيش للسيد صفي الدين هي تلك الصحراء المحرقة التي لو وقف فيها الجيش الإيطالي يوماً واحداً لهلك أو كاد.

ومما يرجّح صدور الأمر من إدريس بتسليم الجغبوب أن الجرائد المصرية نشرت إذ ذاك أن تشمبرلن، وزير خارجية انجلترا، لما زار روما في جمادى الأولى سنة 1343 وخوطب بشأن تسوية حدود الجغبوب ـ وعد أن يبذل وساطته لدى الحكومة المصرية بتسوية مسألة الجغبوب وفقاً لرغبات إيطاليا. وبناء على وساطته ألحت الحكومة المصرية على السيد إدريس بتسليم جغبوب، فكتب هذا إلى السيد صفي الدين بالانسحاب وترك الجغبوب بدون مقاومة.

ومهما يكن من أمر هذه الوساطة، وهي من الشك بمكان، فلا يملك السيد إدريس تسليم الجغبوب إلى الطليان وقد تخلى عن طرابلس قبل احتلال الجغبوب بنحو ثلاث سنوات. وبعد صدور هذا الأمر ما كان يصح

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

من السيد صفي الدين امتثاله، ولولا صدور هذا الأمر، ولو لم يمتثله السيد صفي الدين ودافع عن الجغبوب للقيت إيطاليا في احتلالها أشد الصعوبات، ولكان من المحتمل فشلها، وإذاً يكون لهذا الفشل تأثير كبير في سير خطة الدفاع في برقة.

وما كان أشد دهشتنا حينما سمعنا بصدور هذا الأمر من السيد إدريس الذي عقدت له الأمة الطرابلسية البيعة على أن يقودها إلى الدفاع عن الوطن وقبل منها ذلك، وذكر في جوابه على كتاب البيعة «وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسؤولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها».

وهذا التسليم باطل من نفسه، ومخالف لحقوق التملك لأنه وقع بدون إذن المالك الحقيقي وهم الطرابلسيون، فكان يجب على السيد صفي الدين ألا يقيم له وزناً، وأن يدافع عن الجغبوب لأنها جزء من الوطن الذي لا يملك السيد إدريس ولا غيره أن يسلم منه شبراً واحداً للإيطاليين.

فتسليم الجغبوب للإيطاليين كان أمضى سلاح استعملوه في قتل السيد عمر، وأكبر معين على سد الحدود المصرية في وجوه المجاهدين التي كانت أعظم مورد لرزقهم، وكانت سبيل النجاة بحياتهم إذا عجزوا عن المقاومة، وقد أظهرت الأيام فيما بعد أن احتلال الجغبوب هو من أكبر العوامل في قتل حركة السيد عمر، إذ به تمكن الطليان من مد الأسلاك الشائكة من بردي سليمان إلى الجغبوب وبذلك تم حصار السيد عمر ومن معه من الجهات الأربع.

الاستعداد لاحتلال الجغبوب:

بعد أن اختمرت فكرة قطع المواصلات على السيد عمر أعدّت إيطاليا جيشاً عرمرماً لاحتلال تلك الواحة الضاربة في تخوم الصحراء، لا لخصبها، ولا لمناجمها الذهبية، فهي أفقر واحة وأصغرها في صحراء ليبيا، ولكن

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

لتقلم من أظفار تلك الأسود الرابضة في غابات الجبل الأخضر، وتمنع عنهم الميرة من مصر وواحاتها. ويعلم الله كم أنفقت على هذا الجيش ملايين من الفرنكات لا تساوي جغبوب من ناحيتها المادية عشر معشارها.

وحدات الجيش:

يتألف الجيش الذي عهد إليه باحتلال جغبوب من ألفي جندي وثمان فصائل من سيارات المسلحة بمدافع المتراليوز، وستة سيارات مدرعة، ودبابتين، واثنتي عشرة طائرة و350 سيارة لنقل أمتعة هذا الجيش ومؤونته منها ثلاثة أتوموبيلات لمراسلي الصحف.

احتلال الجغبوب:

لم يبق في الجغبوب بعد انتقال السيد صفي الدين منها إلا بعض السودانيين الفقراء وشيخ زاويتها الشيخ حسين المراكشي. ولما وصل الجيش الإيطالي إلى المسلة على مسافة 15 كيلومتراً إلى شمالي جغبوب علم أن البلاد لا يوجد بها أحد، وأنه لا يعترضه في سبيله شيء، فواصل الجيش الإيطالي سيره ودخل الجغبوب يوم الاثنين 25 رجب سنة 1344 في الساعة الحادية عشرة صباحاً. وقد تم احتلالها بدون مقاومة. ورفعت عليها الراية الإيطالية لأول مرة في التاريخ بحضور جماعة من أعيان برقة ومنهم هلال السنوسي الذي صحب الحملة من أول الأمر، والشارف باشا الغرياني الذي عين حارساً على زاويتها.

وكان احتلالها بقيادة الكولونيل روتشتي في زمن ولاية مومبلي[17] على برقة الذي زار الجغبوب في شعبان سنة 1344 زيارة رسمية وخطب له هلال السنوسي ومدح ما أتاه الجيش الإيطالي من أعمال الفتح فقال: «إن مسلك الجيش الإيطالي جدير بكل ثناء».

(17) بكسر الباء وتشديد اللام.

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

هلال السنوسي

التجأ هلال السنوسي إلى إيطاليا سنة 1334 وأسكنته مدينة طرابلس وأجرت عليه نفقات طائلة. وتغلبت عليه نزعة الشباب فلم يبال شيئاً، فكان محل انتقاد ممن يغار على كرامة العائلة السنوسية.

وكثيراً ما استعملته إيطاليا ضد الحركة الوطنية. وفي رمضان سنة 1342 فر من جالو بصحبة أسير إيطالي كان هناك قاصداً إلى بنغازي، وأراد أن يتخذ من هذا الإيطالي شفيعاً لدى الطليان، ولكنه أدركه عبد من عبيد السنوسية يسمى قجة وأرجعه إلى جالو، ثم نقل إلى جغبوب وبقي فيها إلى شوال سنة 1343 وفي هذا الشهر فر إلى مصر. وأرادت الحكومة المصرية إرجاعه ولكن وساطة السفارة الإيطالية حالت دون ذلك، وتمكن من البقاء في الاسكندرية. ثم لم يلبث أن سافر إلى بنغازي على حساب الحكومة الإيطالية. وقد انتهزت الحكومة الإيطالية وجوده في بنغازي فاستعملته في تخذيل المجاهدين، فكان يدعو إلى الاستسلام لإيطاليا وإلقاء السلاح والركون إلى عدم المقاومة.

ولما كان الجيش الإيطالي في طريقه لاحتلال الجغبوب كان معه صحبة القائد الإيطالي الكولونيل روتشتي، وأول من دل على عورة جغبوب ورفع راية الصليب على زاوية جده. وهو اليوم بين يدي الله يحكم فيه بما يشاء.

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

وكان مع هلال السنوسي في هذه الحملة الشارف باشا الغرياني هو وجماعة من الأعيان الذين لو انضموا إلى الحركة الوطنية لأفادوا برقة فائدة عظيمة.

مشكلة الحدود المصرية:

لا يخفى أن من الأغراض الأساسية التي اضطرت إيطاليا إلى التعجيل باحتلال الجغبوب هو كف المهاجرة من طرابلس إلى مصر، ولما رأت أن احتلال الجغبوب لم يقطع المهاجرة إلى مصر تشددت مع الحكومة المصرية بشأن الحدود بين مصر وطرابلس للتوصل إلى السيطرة على الحدود ومراقبتها مراقبة عسكرية، ظناً منها أن سيطرتها على الحدود تمنع مهاجرة الطرابلسيين إلى مصر، وأن السيد عمر إذا ما اضطر يوماً إلى مغادرة الجبل الأخضر - كما توهموا - لا يجد له مفراً فهو لا شك واقع في قبضتهم. وقد ظهر عقم هذه السياسة بما أبداه السيد عمر من ثبات في مركزه إلى آخر لحظة من حياته. كما أن احتلال جغبوب لم يؤثر على نشاطه ولم يحل دون مضيّه في الدفاع حتى النفس الأخير.

كتاب السيد عمر إلى الحكومة المصرية:

وفي يونية سنة 1931 تقريباً - وكانت الحال قد اشتدت بالسيد عمر ورفاقه - كتب جواباً إلى الحكومة المصرية، وأرسله مع الشيخ مصطفى عوني الجزائري، يطلب منها تسهيل الطريق لتوريد سلاح من اليونان وإنزاله على الشواطىء المصرية، ورد السلاح الذي أخذته من المهاجرين الليبيين الذين دخلوا القطر المصري.

وسلم الشيخ مصطفى الجواب إلى محافظ الصحراء الغربية في مرسى مطروح، وكان إنجليزياً، اسمه (جرين). ولم يجد الشيخ مصطفى اهتماماً من هذا الإنجليزي، واتفق معه على المقابلة بوزارة الحربية بالقاهرة.

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

واتصل الشيخ مصطفى قبل المقابلة مع (جرين) بالأستاذ عبد الرحمن عزام، وسلمه رسالة باسمه من السيد عمر، يرجوه فيها مساعدة الشيخ مصطفى في مهمته.

وقابل الشيخ مصطفى (جرين) في وزارة الحربية بالقاهرة حسب اتفاقهما وأُخذت أقوال الشيخ مصطفى التي أيد بها ما جاء في رسالته، ووقّع على ما قاله، وقيل له: ستجد الجواب في مرسى مطروح.

وبعد 15 يوماً ذهب الشيخ مصطفى إلى مرسى مطروح وقابل (جرين) فقال له: إن الحكومة لا توافق على إنزال السلاح على الشواطىء المصرية، ولا ترد لكم السلاح الذي أخذته من المهاجرين خوفاً من الوقوع في الخلاف مع الحكومة الإيطالية. وكل ما في وسع الحكومة المصرية أن تتساهل بعض الشيء، وبمقدار لا تجد منه الحكومة الإيطالية سبيلاً إلى الاحتجاج عليها.

وفي أثناء ما كان الشيخ مصطفى في مصر بعد مقابلة المحافظ (جرين) اتصل «بالبرنس» عمر طوسون باشا، وطلب منه مساعدة السيد عمر، فأغطاه مائة جنيه، فاشترى بها حاجات يحتاج إليها المجاهدون وأرسلها إلى السيد عمر، وبقي في السلّوم ينتظر رد السيد عمر.

وقبل وصول الشيخ مصطفى إلى مصر جاءت رسالة من إدريس السنوسي إلى عمر طوسون يطلب فيها مساعدة للسيد عمر، فأعطاه ثلاثمائة جنيه، ويؤكد الشيخ مصطفى أن هذه النقود لم تصل السيد عمر المختار.

وقابل الشيخ مصطفى إدريس السنوسي في حمام مريوط ـ وكان مقيماً هناك ـ وأبلغه رسالة من السيد عمر يقول له فيها: إن ما يبلغه لك مصطفى هو على لساني فاستمع له.

ومما قاله الشيخ مصطفى لإدريس على لسان السيد عمر المختار: (إن حالة المجاهدين أصبحت لا تطاق، وهم في أشد البؤس من العري

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

والجوع، وما تتمتع به أنت من الخير والنعيم إنما هو من خيرات بلادنا. وأن السيد محمد بن علي السنوسي لما جاء إلى بلادنا لا شيء معه إلا عكازه في يده).

هذا ما أملاه عليّ الشيخ مصطفى، ولم أغيِّر منه شيئاً. وأنا لا أشك في صدقه.

واستمع إدريس السنوسي لهذا الحديث من الشيخ مصطفى ولم يرد عليه بكلمة، وخرج الشيخ مصطفى من عنده ولسان حاله يقول:

لقد أسمعتَ لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وكان السنوسي الغزالي مع الشيخ مصطفى ولم يكن له حق في التحدث بلسان السيد عمر لا مع الإنجليز ولا مع إدريس السنوسي، وكان الشيخ مصطفى هو المكلّف بالتحدث بلسان السيد عمر من قبله، ومقابلة من تلزم مقابلته، وقد شكا السنوسي الغزالي هذه الحال إلى السيد عمر، فجاءت رسالة إلى الشيخ مصطفى من السيد عمر تحدد مهمة السنوسي الغزالي. وقد أطلعني الشيخ مصطفى على هذه الرسالة، وهي بخط السيد عمر، وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. إلى السيد الحاج مصطفى الجزائري حفظه الله آمين.

بعد السلام وكامل التحية والإكرام. الأجوبة التي بعثتها لكم صحبة الفرجاني، كنت أمرتكم بكونك حرّاً في شغلك، لا لأحد مداخلة معكم. وعرّفت رفيقكم بجواب بالاستراحة والخدمة على نفسه. وأنت حر في كافة أشغالك لا لكم معارض.

ونرجو الله أن يوفقنا وإياكم للصواب ودمتم. والسلام عليكم).

22 ربيع ثاني سنة 1350
النائب العام
عمر المختار

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

احتلال المناطق الغربية

ولما رأى الطليان أن احتلال جغبوب لم يوصل إلى النتيجة التي قصدوها منه، وهي التأثير على السيد عمر، وجهوا قواهم إلى احتلال المناطق الغربية الجنوبية ليقطعوا الصلة بينها وبين السيد عمر كما قطعوا الصلة بينه وبين جغبوب.

وفي الحقيقة أن صلته بهذه الجهات كانت جد ضعيفة منذ احتلال أجدابية في 9 رمضان سنة 1341، ولكن الإيطاليين أرادوا أن يقضوا على هذه الصلة نهائياً. وكانت قبيلة المغاربة تنزل حوالي العقيلة، فأرسلوا الشارف الغرياني في وفد للتمهيد لفتح هذه الجهة بحجة عمل هدنة بين هذه القبيلة والحكومة وفتح الأسواق ومبادلة التجارة بين الطرفين. وكان رئيس هذه القبيلة الشيخ صالح الأطيوش فلم تنطلِ عليه هذه الحيلة، ولكنه استغل هذه الفرصة بكل تحفظ، وانتهز فتح الأسواق فأخذ منها ما يحتاج إليه هو ومن معه.

احتلال العقيلة:

وفي أثناء هذه المدة كان الطليان يجهزون أنفسهم لاحتلال العقيلة، وهي بئر ماء على ساحل البحر يقع في الجنوب الغربي من بنغازي على مسافة 285 كيلو متراً تنزل بقربه البادية لتشرب منه. وتمكنوا من استمالة

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

فريق كان منشقاً على الشيخ صالح الأطيوش. واحتلوا العقيلة في ربيع الثاني سنة 1346. واتجه صالح الأطيوش ومن معه إلى الجفرة. وكان الشارف الغرياني ممن حضروا رفع العلم الإيطالي على العقيلة وأدى له السلام الروماني[18].

تسليم الرضا نفسه للطليان:

ولما احتل الإيطاليون جغبوب كان الرضا السنوسي موجوداً في جالو بصفته وكيلاً عن أخيه السيد إدريس، فأرادت إيطاليا أن توقعه في شركها، فأرسلت إليه تَعِده بالراحة في مدينة بنغازي والإحسان إليه بآلاف الفرنكات وتمنيه بالعفو عما جناه ضدها، وبعطفها عليه عطفاً يحفظ له كرامته.

وما إن سمع هذه الوعود المعسولة، وبث في روعه أبالستها سمومهم حتى أضل رشده واسترسل وراء الأحلام التي تخيلها. فأرسل الشيخ عبد العزيز العيساوي إلى بنغازي لينظر في الأمر ويمهد له الطريق، وكان الشيخ عبد العزيز هذا مقدماً لدى السنوسيين، ومشهوراً بالحذق والدهاء، ولكنه كان غير موفق في هذه المرة، وحيل بينه وبين دهائه وحذقه، فظن تلك الخيالات حقائق، وأكد للرضا صدق الطليان وعزمهم على البر بوعودهم. فحمل الرضا أمتعته وقصد إلى زاوية القطوفية حيث تلقاه القائد الإيطالي الذي ذهب به تواً إلى أجدابية ثم إلى بنغازي ثم إلى جزيرة صقلية منفياً حيث لاقى من الإهانة والاحتقار ما تركه بعض بنان الندم على ما فعل، وهو الآن في بنغازي يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، وأُخذ الشيخ عبد العزيز إلى إيطاليا منفياً ثم جيء به إلى بنغازي وهو الآن بها[19].

وكان تسليم الرضا نفسه يوم الثلاثاء 10 رجب سنة 1346 وهي خطوة مهدت لإيطاليا طريق التوغل في الصحراء.

---

(18) جاءت هذه الرواية في «بريد برقة».
(19) وقت تأليف الكتاب.

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

وإنه ليعييك البحث عن العثور على سبب يبيح للرضا أن يرمي بنفسه في أحضان الإيطاليين، ولكنه أبى على نفسه أن تحظى بشرف البطولة كما أبى السيد عمر المختار على نفسه أن تدنس بعار الخيانة، مع الفرق الواضح بين ما كان فيه الرضا من وجود المجاهدين حوله، وبُعد مركزه من العدو، والضرائب التي كان يجبيها من العرب ومن سوقي أوجلة وجالو، والمواصلات التي كانت له مع فزان والكفرة ـ وبين ما كان فيه السيد عمر من الحصار الشديد من كل جهة، وقطع الصلة بينه وبين أي مخلوق في الدنيا، وتوالي الهجمات الشديدة عليه.

وقد ذهب السيد عمر إلى الرضا وهو في جالو يشكو إليه حالة المجاهدين في الجبل، ويرجوه أن يعطيهم شيئاً من المال الذي كان يجنيه باسمهم ـ لأنه كان نائباً عن أخيه إدريس ـ فأبى أن يعطيه شيئاً. وقد ألح السيد عمر مرة ثانية على الرضا ولكنه عبثاً حاول أن يوقظ تلك الهمة المائتة. وأخيراً رجاه أن يشتري للمجاهدين يعض جلود الإبل ليستعملوها نعالاً يتقون بها حفا الجبل الأخضر فكان كنافخ في رماد. فرجع السيد عمر إلى جبله وقد قطع ما كان في نفسه من أمل في الرضا.

وفي مدة إقامة الرضا في جالو ولى عبداً من عبيده اسمه بكتوف[20] حاكماً على جالو ليجبي له الضرائب والزكاة، وهي إحدى غلطاته الكثيرة، فإنه ما كان يليق أن يكون عبد مملوك حاكماً على بلد كانت مركزاً لجميع القبائل العربية الضاربة في بادية برقة يأوي إليها الشيخ عبد السلام الكزة والشيخ صالح الأطيوش والشيخ عبد الحميد العبار والسيد عمر المختار وغيرهم من سادات القبائل وأبطالها المشهورين. وتولية هذا العبد حاكماً كانت مما نفر هؤلاء الرؤساء من الرضا وجعلهم ينتقدونه.

(20) بتشديد الكاف.

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

للمزيد من الكتب http://www.mostafamas.com على سنة الحبيب

ولما سلم الرضا نفسه إلى الطليان ذهب ابنه الحسن إلى السيد عمر في الجبل الأخضر فأكرمه واحترمه غاية الاحترام وسيأتي خبره.

احتلال زلّة:

في يوم الأحد 28 شعبان سنة 1346 تحركت القوة الإيطالية من الجفرة قاصدة احتلال زلّة والتقدم إلى أوجلة وجالو لاحتلالهما أيضاً. وكان عبد الجليل سيف النصر إذ ذاك بزلّة، ولما لم يقو على الدفاع خرج منها واحتلها الإيطاليون يوم الأربعاء أول رمضان سنة 1346. وفي يوم السبت 4 منه وصل الإيطاليون إلى آبار تقرفت[21] وكان هناك عمر ومحمد ابنا سيف النصر ومعهم بعض المجاهدين، فصمدوا للعدو صمود الأبطال، ودامت بينهم المعركة ثلاث ساعات قتل فيها كثير من الفريقين. وانهزم الطليان وثبت المجاهدون في مكانهم. ثم استأنف الطليان الهجوم على الآبار في نفس اليوم ليصلوا إلى الماء، وثبت المجاهدون ودام القتال إلى الساعة الرابعة بعد الظهر. وكانت معركة حمي وطيسها واختلط فيها الفريقان وتنازعوا مواضع الأقدام. وأخيراً نفد ما بأيدي المجاهدين من الخرطوش فاضطروا إلى التقهقر. واعترف الطليان في بلاغهم «أنهم فقدوا في هذه المعركة خمسة ضباط وجرح منهم خمسة، ويبلغ عدد القتلى والجرحى من الجنود مائتين» وهذا دون الحقيقة بكثير لما اعتاد الطليان من تهوين الأمر في بلاغاتهم فيما يتعلق بهم.

(21) بسكون القاف والفاء بينهما راء مكسورة.

على سنة الحبيب http://www.mostafamas.com للمزيد من الكتب

أوجلة وجالو

واحتان كبيرتان تقعان في الجنوب الغربي من بنغازي الأولى على مسافة 240 كيلومتراً منها والثانية على مسافة 220 كيلومتراً، وفيهما نخل كثير. وسكان أوجلة من البربر، ويتكلمون البربرية، ويعرفون العربية. وبها قبر سيدي عبد الله ابن أبي سرح الصحابي الجليل. أما سكان جالو فأصلهم من العرب، ويسمون المجابرة ولكثرة تجارتهم مع السودان واختلاطهم بالسودانيين من قرون مضت صاروا خليطاً من العرب والسودان. وفي كل من أوجلة وجالو زاوية للسادة السنوسية، وتقع جالو شرقي أوجلة على مسافة 30 كيلومتراً تقريباً، والمسافة بينهما وبين بنغازي أكثرها أرض صالحة للزراعة، وتزرع على المطر لأن الماء فيها قليل.

احتلال أوجلة وجالو:

وبينما كانت الحرب دائرة في زلّة لاحتلالها كانت التدابير تُتخذ لاحتلال أوجلة وجالو. فتحرك الجيش الإيطالي من الحسيات[22] بقيادة الكولونيل مزتي في يوم السبت 26 شعبان سنة 1346 قاصداً أوجلة وجالو. وفي يوم الخميس 2 رمضان سنة 1346 وصل الجيش معطن السبيل بقرب أوجلة. وفي هذا اليوم خرج أعيان أوجلة لتقديم الطاعة للقائد مزتي هناك،

(22) بكسر الحاء وتشديد الياء.

وفي يوم الجمعة 3 رمضان احتل الجيش الإيطالي أوجلة. وفي يوم السبت 4 منه احتل جالو. وفي يوم الأحد 5 منه احتل جخرّة[23] وهي على مسافة 35 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من جالو.

الصديق السنوسي في جالو:

ولما سلم الرضا نفسه إلى الطليان كان ابنه الصديق في الوادي الفارغة، فحضر إلى جالو ولما أحس بزحف الجيش الإيطالي على جالو خرج منها إلى الكفرة وترك كل شيء. ويقول أهالي جالو إنهم كانوا مستائين منه بما كان يفرض عليهم من الضرائب. وكان يسلط عليهم عبيده فيلحقون بهم كل إهانة في سبيل جباية ما يفرضه عليهم. وكانت صدورهم موغرة عليه، ولولا بقية من حياء كانت تمنعهم من أن يمدوا إليه أيديهم لفعلوا. هذه رواية أهل جالو نرويها بكل تحفظ.

أثر احتلال أوجلة وجالو:

وكان احتلال أوجلة وجالو شديد الوقع على النفوس لأنهما المنفذ الوحيد إلى الصحراء الذي بقي بعد احتلال الجغبوب. وكان من المحتمل أن يؤثر في موقف السيد عمر ومن معه، ولكنْ لما اتصف به السيد عمر من رباطة الجأش وحسن القيادة لم يكن له من الوقع عليهم أكثر من غيره من الحوادث التي كانت تمر بهم كل آن.

وظن الإيطاليون أنهم باحتلالهم أوجلة وجالو وصلوا إلى بغيتهم أو كادوا، ولكن ما أبداه عمر المختار من النشاط في الغزو والهجوم على أسوار درنة وما حولها أفهمهم أن كل ما أتوه من الأعمال في برقة لم يؤثر على موقف السيد عمر، وأن الوصول إليه في جبله لا يزال من الرموز التي لم يهتدوا إلى حلها.

---

(23) بتشديد الراء.

الانقلاب السياسي

حصل انقلاب سياسي في الوزارة الإيطالية بسبب الخلاف القائم بين الوزراء على السياسة التي يجب اتباعها في طرابلس وبرقة للتعجيل في القضاء على السيد عمر. ففي ديسمبر سنة 1928 استقال فدرزوني وزير المستعمرات في روما، وديبونو حاكم طرابلس، وفيردزي حاكم برقة. وأعلن موسوليني توحيد الإدارة في طرابلس وبرقة وعيَّن الجنرال بادوليو حاكماً عليهما. وكان بادوليو هذا من القواد الذين اشتهروا في الحرب العظمى بالثبات والإقدام، وكان موسوليني يرى فيه المنقذ الوحيد للسياسة الإيطالية في طرابلس مما حل بها من الفشل والتذبذب طوال ثماني عشرة سنة.

وأول ما ابتدأ به بادوليو أمره الدعوة إلى الاستسلام للحكومة، ووزع منشورات في جميع البلدان يدعو الناس لذلك، ويهدد بالعقاب الصارم الذي لا تصحبه رحمة كل من استمر على مناوأة الحكومة والخروج عليها، وأصدر عفواً عن كل السياسيين المبعدين.

ولم يلبث أن أخذ يستعد لتنفيذ خطته التي جاء من أجلها وهي القضاء على حركة السيد عمر تمهيداً لاستقرار السياسة الاستعمارية الإيطالية في طرابلس. فحشد جيوشاً كثيرة في ذي القعدة سنة 1347 لمهاجمة من بقي من المجاهدين في الصحراء بين غدامس وسرت تمهيداً لاحتلال فزان. وكانت

هذه الجيوش بقيادة عاكف أمسيك الغرياني من ناحية سرت، وخليفة الزاوي من ناحية القريات. وقد استمرت هذه المناوشات بين الفريقين فيما بين غدامس غرباً وسرت شرقاً وأرفلة شمالاً وفزان جنوباً نحو ثمانية أشهر كان لأحمد سيف النصر فيها مواقف محمودة ولحقت بالإيطاليين أضرار فادحة وخسائر جمة.

فزان

عدة واحات تابعة لطرابلس تقع في جنوبيها على مسافة 830 كيلومتراً، وعاصمتها مرزق، وترتفع على سطح البحر 559 متراً وسكانها الأصليون الفزازنة. وهم ينحدرون من سلالة بربرية الأصل، وقيل أصلهم من الجرمنت (وهم أمة من أمم أفريقية القديمة كانت تسكن الجنوب الشرقي من بلاد لوبيا، وقد أغار عليها «كورنيلوس بالوس» الروماني سنة 21 قبل الميلاد فتغلب عليها وضم بلادها إلى ممتلكات الرومان، واتصلت حدود مملكة الرومان بحدود بلاد النوبة، وهم متوطنون فيها، ويسكنها كثير من العرب أكثرهم رحَّل، وأشهر القبائل العربية فيها ثلاث: قبيلة رياح وينزلون سوكنة والحروج غرباً، وقبيلة الحطمان وينزلون في هذه الجهات غربي القبيلة الأولى، وقبيلة المقارحة ومنازلهم حول وادي الشاطىء وفوق الحمادة. وإلى الغرب والجنوب من فزان تقيم قبائل التوارق وهم من البربر).

ومناخ فزان شديد الحرارة. وإذا هبت رياح الجنوب تبلغ الحرارة في الظل 40 درجة، وأرضها خصبة وبها ينابيع من الماء كثيرة وغزيرة. وأهم حاصلاتها التمر وفيها من النخل ما يزيد على نصف المليون، ومن أشهر مدنها مرزق قاعدتها، وسوكنة، وزويلة.

احتلال فزان:

احتل الجيش الإيطالي مرزق عاصمة فزان يوم الجمعة 24 شعبان سنة 1348. وباحتلال فزان انتهت المقاومة في الجهة الجنوبية من طرابلس بعد أن استمرت ثماني سنوات من ابتداء الحرب الأخيرة في جمادى الآخرة سنة 1340.

وفي أثناء انشغال الطليان باحتلال الجهة الجنوبية من طرابلس كان السيد عمر يقوم بالهجوم على درنة وما حولها ويبث دعايته في العرب الموالين للطليان. وكان الطليان يكتفون في صد هجومه باستعمال الاستحكامات والحصون ريثما ينتهون من جنوبي طرابلس ليجمعوا جيوشهم كلها في برقة ويوجهوها إلى السيد عمر.

وبعد احتلال فزان والقضاء على الثورة في الجهة الجنوبية من طرابلس توجهت جهود الطليان إلى السيد عمر، وأراد بادوليو أن يقضي على حركته من طريق المفاوضات، فدعاه إليها. وكان يرى أن السيد عمر قد يرضى بأي شيء تنتجه المفاوضات ولو بإصدار عفو يكفل له حياته هو ومن معه، نظراً لموقفه الحرج من انقطاع المواصلات من كل جهة، خصوصاً بعد احتلال جغبوب وجالو، ومن انقطاع الميرة وقلة المؤونة عندهم. ولكن هذا كله ما كان ليغيب عن فطنة السيد عمر، أو يؤثر في عزيمته أو يفت في عضده، لأنه ما حمله على رفع السلاح في وجوه الإيطاليين إلا الدفاع عن وطنه وإنقاذ أمته من مخالب الاستعمار، والدفاع عن الوطن، والذود عن الشرف أمر مقدس لدى جميع الأمم البشرية، وجاءت به جميع الشرائع السماوية، وكل القوانين الوضعية مجمعة على وجوبه. فهو يقوم بهذا الواجب المحتم مهما كلفه الأمر أو يوفق إلى أدائه. ولظنّ أن هذه المفاوضات قد تأتي بخير، وليقيم الدليل العملي على حبه للسلم، أجاب السيدُ عمر بادوليو لما طلبه ودخل معه في المفاوضات.

واسمع ما دار بين الطرفين من حديث المفاوضات حتى يتبين لك ما يتصف به السيد عمر من حب السلام والصراحة في القول والوفاء بالعهد، وما يحمله دعاة الاستعمار من البغض للشرقيين والإصرار على سفك الدماء للوصول إلى استعباد الأمم، والمراوغة في أقوالهم للتنكيل بخصومهم مهما كانوا شرفاء.

حديث المفاوضات

هذا ملخص ما دار بين السيد عمر والطليان من المفاوضات، ويتضح منه ما يرمي إليه الإيطاليون من وراء هذه المفاوضات.

«في 5 رمضان سنة 1347 ألقت الطائرات على المجاهدين منشوراً باسم بادوليو والي طرابلس وبرقة يأمرهم فيه بتسليم السلاح والخضوع لحكومته قبل أن يأتيهم بجنود لا قبل لهم بها، وإذ كانوا لا ينتظرون منه رحمة ولا شفقة، فلم يأبهوا لهذا المنشور واستمروا على ما هم فيه.

وفي 30 رمضان المذكور أرسل متصرف المرج الكولونيل باريلا[24] كتاباً مع موسى المسماري يطلب فيه الاجتماع بالسيد عمر، وفي غداة يوم العيد وقبل الصلاة هجم الطليان على المجاهدين واستمرت المعركة إلى العصر وقتل رئيس الحملة ويدعى بيش.

وفي 3 شوال بعث متصرف درنة دودياشي كتاباً إلى السيد عمر يطلب فيه الاجتماع به في بيت علي باشا العبيدي يوم 8 شوال، فحضر إليه في هذا اليوم، وكان برفقة دودياشي كثير من الضباط ومشايخ البلاد وأعيانها منهم عبد القادر بوبريدان عمدة العبيدات، وانتهت هذه الجلسة ولم تحصل نتيجة،

---

(24) بفتح اللام مشدداً.

واتفقوا على أن يجتمعوا في 15 شوال في سانية القيقب.

وفي اليوم المذكور اجتمعوا، وكان مع دودياشي لوبيلو[25] فذكر لوبيلو أن شريعة الإسلام لا تسمح لكم بهذه الحرب التي لا طاقة لكم بها. وأن نبيّكم لا يسمح لكم بمقاومة الدولة التي لا تقدرون على مقاومتها[26] والحكومة مستعدة أن تتعهد بمعاشات شهرية لكم ولأتباعكم إن أنتم سلمتم سلاحكم ودخلتم تحت حكمها. فامتعض السيد عمر لهذه اللهجة الشديدة وقال له:

أنا أعلم عنك أنك ارتكبت من الشدة مع الأهالي الخاضعين لكم ما دل على أنك رجل لا تريد الخير لهذه البلاد ولا لحكومتك. وها أنت اليوم تطلب منا تسليم السلاح وتهددنا بجيوش حكومتك في مجلسٍ أنت دعوتنا إليه للتفاهم فيما يحل هذه المشكلة القائمة بيننا وبينكم. أما قوة حكومتك التي تهددنا بها فقد عرفنا آخر ما عندكم منها. وها نحن واقفون أمامها نحو ثماني عشرة سنة ولا زلنا بعون الله كما كنا. وكان الانفعال بادياً على السيد عمر فانفض المجلس بدون نتيجة.. وقد عادت الأمور إلى ما كانت عليه.

وفي يوم 17 شوال أتى البريد من باريلا حاكم المرج يطلب فيه الاجتماع بالسيد عمر في يوم 25 منه في الشليوني[27] وقد ذهب السيد عمر في هذا اليوم وحصل الاجتماع، وكان برفقة باريلا ضباط وأعيان من البلد. فقال باريلا: أنا جئت لا لأغضبك كما فعل دودياشي ولوبيلو، ولكن جئت لنتذاكر فيما يريح الطرفين. فقال له السيد عمر: أنا أول من يوافق على كل ما فيه راحة البلاد. وكانت جلسة يسودها الاحترام المتبادل، وانتهت على أن يعودوا إلى الاجتماع في 17 ذي القعدة في بئر المغارة بوادي القصور.

---

(25) بضم اللام الأخيرة مشددة.

(26) أخذ هذا من منشور الرضى الآتي.

(27) بفتح الشين وسكون اللام.

وفي 10 ذي القعدة حضر الفريقان في المكان المذكور، وكان مع باريلا عبد الله بلعون، وخالد الحمري، وعلي باشا العبيدي ورويفع فركاش. وقد دار الحديث طويلاً، ولما رأى السيد عمر أن هذه المذاكرة لا تؤدي إلى نتيجة طلب إلى باريلا أن يأتيه بالرضا السنوسي ـ وكان أسيراً عندهم ـ وكان السيد عمر يؤمل أن يحصل منه على معلومات تفيده وانتهت الجلسة على أن يعودوا إلى الاجتماع يوم 25 ذي القعدة في المكان نفسه.

وفي 25 منه حضر الفريقان وجاء الرضا مع باريلا وطال الاجتماع بين السيد عمر وباريلا، وانتهت الجلسة على غير نتيجة.

وفي يوم 30 ذي القعدة جاء البريد من وكيل الوالي سيشلياني يطلب فيه الاجتماع بالسيد عمر، فأفاده السيد عمر بأنه سيكون ذلك يوم 8 ذي الحجة في «قندولة» بقرب سيدي رويفع. وفي اليوم المذكور جاء السيد عمر إلى محل الاجتماع وكان برفقة سيشلياني باريلا، وكانباني وعدة ضباط وبعض أعيان من الوطنيين الملتجئين إلى الحكومة. ولما قارب السيد عمر محل الاجتماع رأى قوة عظيمة من الجيش الإيطالي تحيط بمكان الاجتماع فأيقن أنها مكيدة دبرت له. وكانت معه قوة كبيرة من الفرسان كعادته في كل اجتماعات المفاوضات، فقسمها إلى قسمين وجعل كل قسم تجاه قسم من قوة العدو، وتقدم هو وبعض الأعيان إلى محل الاجتماع. ونظراً لما يحيط بالموقف من شكوك لم يطل هذا الاجتماع، وكان سيشلياني معتزماً الإيقاع بالسيد عمر، ولكنها حيلة لم تنطلِ، وفطنة السيد عمر أحبطت عمله.

وفي يوم 12 ذي الحجة جاء البريد من دودياشي إلى السيد عمر يطلب الاجتماع به، فرد عليه أنه سيكون ذلك في يوم 20 منه.

وفي اليوم المذكور حضر السيد عمر، وحضر دودياشي، ولوبيلو، وباريلا، ومعهم من أعيان البلاد: عبد القادر بوبريدان، وعلي باشا العبيدي ومحمد الصيفاط، ومحمد بوشديق، وخالد الحمري، ومحمد بو فارس،

ورويفع فركاش. وبعد تبادل التحيات شرعوا في المذاكرة. وقد أطال السيد عمر في شرح مطالبه، وذكر لهم أن المسؤول عن فشل المفاوضات المتقدمة هم مندوبو حكومتكم لأنهم دائماً يظهرون التشدد من طرفهم. وفي كثير من الأحيان كانوا يخلفون وعودهم. ثم قال لهم: أنا أطلب أن يتم هذا الاتفاق بحضور مندوب من الحكومة المصرية، ومندوب من الحكومة التونسية، ويكون حضور هذين المندوبين كدليل على رغبة صادقة من الطرفين في الاتفاق. فاعترض دودياشي على هذا الطلب قائلاً: لا لزوم لحضور من ذكرت لأننا معكم 18 سنة لم نخنكم في شيء ولم نفعل معكم ما يخل بالمروءة. وقد أثارت هذه الجملة في السيد عمر حميته وبدت عليه علامات الغضب فأخذ يعدد لهم مساوئهم. ويذكّرهم بما فعله مزيتي وجنوده بقبيلة العبيدات المسالمين لهم وأخْذهم كل ما يمتلكون حتى حليّ النساء من آذانهم، وبما فعله لوبيلو مع عائلة إبراهيم «العواقير» وهم مسالمون أيضاً حيث أخذ منهم أربعين رجلاً وقتلهم بالرصاص وأمر بالسيارات أن تمر عليهم.. فما زالت تدهسهم ذهاباً وإياباً حتى اختلطوا بالتراب. وأطال في ذكر مثل هذه المآسي حتى كاد يقع ما لا تحمد عقباه، فتدخل بعض الأعيان الحاضرين وقال: نحن ما جئنا للمعاتبة ولكن جئنا لنتذاكر في المصلحة العامة. فقال السيد عمر: أنا أحرص الجميع على هذا ولكن الشيء بالشيء يُذكر.

ثم ابتدأوا في المذاكرة، فقال بعض الحاضرين: أنا أقترح أن يكون لنا من الامتياز ما لجارتينا مصر وتونس.

فقال السيد عمر: إن كانت الحكومة الإيطالية توافق على ذلك فأنا موافق.

فقال دودياشي: إن حكومتي ترغب في راحة البلاد رغبة أكيدة ولا أظنها تتأخر في قبول مطالبكم. وانتهت الجلسة على أن يراجع دودياشي حكومته ثم يعود إليهم بالخبر الصحيح.

وفي يوم 28 ذي الحجة اجتمع السيد عمر بالجنرال سيشلياني ومعه دودياشي وباريلا وبعض الأعيان من العرب. فذكر سيشلياني ما تعانيه البلاد من المتاعب وما تجره الحرب من الخراب على المتحاربين. وذكر أنه حضر باسم الجنرال بادوليو والي القطرين، وأن الجنرال بادوليو يحمل لهذه البلاد نوايا حسنة، وأنه سيبذل كل جهده في سبيل راحة الطرفين، فشكر له السيد عمر ما أبداه من اللباقة في خطابه وقال له: نحن سئمنا كثرة الكلام، ونحن إلى العمل أحوج منا إلى القول. فقال له: أنا ما جئت إلا لتنفيذ ما اتفقتم عليه في الجلسة الماضية أنت والمتصرف دودياشي والأعيان، وأرجو أن تذكروا لي الشروط التي تطلبونها.

شروط السيد عمر:

فقال السيد عمر: نحن نطلب:

أولاً - أن يحضر مندوب من طرف الحكومة المصرية، ومندوب من طرف الحكومة التونسية ليشهدا الشروط التي نتفق عليها، ويكون ناقض العهد منا مسؤولاً أمام العالم بشهادتهما.

ثانياً - لا تتدخل الحكومة الإيطالية في أمور ديننا، كما أن لنا الحق في تأديب كل من يخرج عن الدين أو يهزأ بتعاليمه، أو يتهاون في القيام بواجباته.

ثالثاً - أن تكون اللغة العربية معترفاً بها رسمياً في دوائر الحكومة الإيطالية.

رابعاً - أن يكون الموظفون من الوطنيين والإيطاليين.

خامساً - أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد، والتفسير والحديث والفقه وسائر علوم الدين.

سادساً ـ أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والإيطالية على السواء وألا يحرم الوطنيون من التعليم العالي، ويلغى القانون الذي وضعتموه في السنة نفسها بعدم المساواة في الحقوق بين الوطني والإيطالي إلا إذا تجنس بالجنسية الإيطالية.

سابعاً ـ أن تكون إدارة الأوقاف تحت تصرف هيئة مسلمة بإشراف رئيس مسلم ويكون لها نظار مسلمون.

ثامناً ـ أن تُرجع الحكومة جميع الأملاك التي اغتصبتها من الأهالي.

تاسعاً ـ أن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها، ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها، كما يكون للقاضي القول الفصل بين الوطنيين.

عاشراً ـ أن نكون أحراراً في حمل السلاح على اختلاف أنواعه، كما يكون لنا الحق في جلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة الإيطالية من بيعه لنا.

وقد تسلم سيشلياني هذه الشروط ووعد بأن يعرضها على الوالي بادوليو ويوافي السيد عمر بما يتم في أقرب وقت ممكن وعلى هذا انتهت الجلسة.

بادوليو والسيد عمر:

وفي يوم 5 المحرم سنة 1348 اجتمع السيد عمر بالوالي بادوليو في سيدي رحومة[28]، وكان معه وكيله سيشلياني وعدد كبير من الضباط وبعض السياسيين الإيطاليين والشارف الغرياني، وعلي باشا العبيدي، وعبد القادر بوبريدان، وكثير من مشايخ العرب.

(28) اسم صاحب قبر هناك سمي المكان باسمه.

صورة اجتماع السيد عمر مع المارشال بادوليو ممثل السلطة الإيطالية العليا في طرابلس للمفاوضة للوصول إلى صلح يريح الطرفين. ويرى السيد عمر في الوسط، وإلى يمينه الحسن بن الرضا فالمارشال بادوليو فالسيد الفضيل بوعمر. وإلى يسار السيد عمر: سيشلياني حاكم برقة ووراءه الشارف باشا الغرياني.

وبعد تبادل التحية عرف بينهم باريلا وكان السيد عمر يظن أن الوالي بادوليو جاء للموافقة على الشروط التي طلبها من وكيله في الجلسة السابقة، ولكن بادوليو أخذ يشرح نياته وما جاء من أجله، فخاطب السيد عمر بقوله: إنني أتيت للاتفاق معكم على ما يكفل راحة البلاد، وإنني مسرور بهذا الاجتماع الذي عقدناه لنضع حداً تنتهي إليه هذه الحروب التي منعت البلدان من العمران الذي جئنا من أجله. ولولا هذه الحروب لرأيت بلادك في حالة أخرى لم تكن تخطر على بالك. وقد أدرك السيد عمر أن المرشال بادوليو يعرّض بأنه هو القائم بهذه الحروب. وهو الذي كان سبباً في تأخر البلاد، فقال السيد عمر: صحيح أن البلاد كانت تكون في حالة أخرى لولا هذه الحرب. ولولا هذه الحروب أيضاً لما رأيت فيها عربياً يمشي على وجه هذه الأرض، ولرأيت فيها إيطاليين يسكنونها ويعمرون دور الوطنيين.

فقال المرشال بادوليو: أنا ما قصدت إلى ما ذكرت، بل أردت العمران وكثرة المزروعات وإنشاء القرى وتعبيد الطرق وتشجيع الصناعة والتجارة، وإني أؤمل ألا تنتهي هذه الجلسة حتى نتفق على ما فيه خير البلاد.

فقال السيد عمر: إن حكومتك اتفقت كثيراً مع الطرابلسيين وتعهدت لهم بشروط ولكنها لم تفِ لهم بشيء منها، فإن كان مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها اللهم لا خير لنا فيها، وإن كنتم تريدون راحة البلاد حقيقة فما عليكم إلا أن تحضروا لنا مندوباً من الحكومة المصرية ومندوباً من الحكومة التونسية ثم تمضي هذه الشروط التي سلمتها لوكيلك الجنرال سيشلياني في الجلسة السابقة، وبذلك نقدم إلى البلاد خدمة نافعة، ويكون كل منا قد برهن على صدق نيته.

فقال بادوليو: سنحضر مندوبي الدول، وسيتم الاتفاق على ما ذكرت.

ثم قام السيد الفضيل بو عمر وقرأ الشروط التي اتفقوا عليها في الجلسة السابقة فوافق عليها الطرفان، وتسلمها المرشال بادوليو ووعد بأن يحضر مندوبي الدول ويجتمعوا في موعد يحدد فيما بعد.

وبعد رجوع بادوليو إلى بني غازي أشاع أنه تم الصلح بينه وبين السيد عمر المختار، وسحب الجنود من خطوط القتال. ولم يعلن شيئاً من شروط السيد عمر التي اتفقوا عليها. وانتهز هذه الفرصة للتضليل على العرب، ووزع منشوراً على سكان بني غازي والبادية يخالف ما اتفق عليه مع السيد عمر، وهذا نصه:

يا أهالي برقة:

إني أحمد الله سبحانه وتعالى الذي هدى لطريق الصواب أولئك الذين كانوا عنا خارجين، وأنار بصيرتهم لإدراك معنى ما أقصد إجراءه من الأعمال لمنفعتكم ولخير هذه البلاد التي بينتها بندائي السابق.

وبما أن حسن التفاهم قد حصل مع تبادل الثقة التامة بإخلاص وحسن نية بيننا وبينهم، بعد أن فهموا وقدروا نوايانا هذه حق قدرها، فها قد وصلنا وإياهم للغاية المنشودة اليوم 13 جونيو سنة 1929م الموافق 5 محرم سنة 1348هـ.

فتذكروا إذن، وعلى الدوام هذا اليوم التاريخي الذي افتتحت به برقة عصراً جديداً حيث استتب السلم، ووضعت الحرب أوزارها، وأصبحتم منذ اليوم بحسب نوايانا الحكومية الخالصة آمنين على أرواحكم وعائلاتكم وحيواناتكم وكل ما ملكت أيديكم، فرحين ومبتهجين بالمهتدين الذين عادوا اليوم إلينا آمنين، مصافحين طائعين، راغبين الحياة تحت ظل حكومة إيطاليا العظمى، معترفين جهاراً بأن لا حكومة غيرها في هذا الوطن، واثقين بما سينالهم - رحمة منها وعدلاً - من العفو التام عما سبق وارتكبوه في الماضي من الجرائم السياسية.

إنني واثق مثلكم بأن كافة إخوانكم أبناء هذا الوطن المهاجرين خارجاً عنه سيعودون متى يبلغهم هذا السلم آمنين طائعين، وبذا يضم هذا الوطن لأحضانه أبناءه الأعزاء البعيدين.

وقياماً بما وعدتكم به سابقاً، واحتفالاً بأُبهة ذكرى هذا اليوم أُبلغكم بأنني أمرت اليوم بالإفراج عن كافة الذين حكم عليهم بالنفي، وأعدكم بالالتجاء لصاحب الجلالة الملك ڤيتوريو عمانوئيل الثالث المنصور كي يمنح من لدنه عفوه الملوكي عن المحكومين الآخرين لأسباب سياسية الذين يستحقونه. وبهذا يصبح منسياً كل ما وقع في الماضي، لاعتباري كل فرد رعية لأم الوطن إيطاليا طائعاً ممتثلاً لقوانين الحكومة.

أكرر لكم القول مرة أخرى بأنني سأداوم كالسابق على احترام الديانة الإسلامية، والزوايا وأملاكها، والحقوق العائلية. وسأحافظ على كرامة أبناء البيوت القديمة النبيلة، كما سأحافظ أيضاً على ما يتمتع به من النعم أولئك المشايخ والأعيان الحديثين الذين ترقوا للمشيخة باستحقاق خاص، مقابل الخدمات التي أدوها للحكومة والوطن.

هذا هو قولي. وهذه ستكون أفعالي. فهلمّ معي لعمل ما فيه تحقيق الآمال.

بنغازي في 19 جونيو سنة 1929

والي ليبيا
ماريشال إيطاليا
بترو بادوليو

وبنظرة بسيطة إلى شروط السيد عمر التي وافق عليها بادوليو يتضح أن هذا المنشور تضليل، وكذب، وقلب للحقيقة. ولا يوجد في شروط السيد عمر طلب عفو، ولا اعتراف بملك إيطاليا وحكومته، ولا استسلام، ولا تقديم طاعة.

وإن الإنسان ليأخذه العجب حينما يرى (ماريشال إيطاليا) يتعمد الكذب، ويخون العهد.

وسيزول العجب إذا علمنا أن بادوليو إيطالي، لأن الإيطاليين جبلوا على الخيانة والكذب.

* * *

وبقي السيد عمر ينتظر رجوع بادوليو إليه ـ حسب وعده ـ مدة شهر فلم يرجع فأرسل إلى وكيله سيشلياني في بني غازي يذكره بوعد بادوليو ويستحثه في تعجيل الأمر، واتفقوا على أن يجتمعوا في سيدي رويفع في 12 صفر سنة 1348.

الحسن بن الرضا السنوسي:

وفي هذا اليوم اجتمع السيد عمر وسيشلياني في سيدي رويفع، وذكّره السيد عمر بوعدهم، فقال سيشلياني: إن هذا الاتفاق لا يتم إلا في بنغازي. فلم يمانع السيد عمر في ذلك وأرسل معه الحسن بن الرضا السنوسي لينوب عنه في إمضاء الصلح على تلك الشروط التي اتفقوا عليها وتسلمها بادوليو في اجتماع سيدي رحومة. فمكث الحسن في بنغازي خمسة عشر يوماً وجاء إلى السيد عمر يحمل في حقيبته شروطاً غير التي اتفقوا عليها، ولم يذكروا من شروط السيد عمر شرطاً واحداً.

شروط الحسن:

وهذه هي الشروط التي جاء بها الحسن بن الرضا:

1 ـ تعتبر الحكومة الإيطالية عساكر عمر المختار دورية وطنية[29].
2 ـ تقيم عساكر عمر المختار بنقطة جردس العبيد.
3 ـ تعترف الحكومة برتب الضباط وتصرف لهم شهريات هم وعساكرهم.

4 ـ يكون جميع ضباط وعساكر عمر المختار تحت أمر ضابط إيطالي.
5 ـ يكون للحكومة الإيطالية الحق في نقل عساكر عمر المختار لأي جهة شاءت.
6 ـ يكون للحكومة الحق في تغيير السلاح الذي بأيدي عساكر عمر المختار بأي سلاح شاءت.
7 ـ يكون للحكومة الحق في تسريح بعض عساكر عمر المختار إذا رأت ذلك.
8 ـ يكون للحكومة الحق في معاقبة من ارتكب جريمة قبل هذا الصلح من عساكر عمر المختار، وليس لعمر المختار حق الاعتراض على ذلك.
9 ـ يكون للحكومة الحق في رفض الضباط الذين لا يعرفون اللغة الإيطالية.
10 ـ تتولى الحكومة أمر العرب الذين تحت عمر المختار الآن على ألا تكون لعمر المختار أي سيطرة عليهم.
11 ـ تتعهد الحكومة الإيطالية للسيد حسن السنوسي بمعاش قدره خمسون ألف فرنك في الشهر، وتبني له قصراً فخماً في مدينة بنغازي.
12 ـ تتعهد الحكومة الإيطالية لعمر بن المختار بمعاش قدره خمسون ألف فرنك في الشهر وتصلح له زاوية القصور وتبني له فيها مسجداً ومئذنة وبيتاً يليق بمقامه، وتأتي له بمعلمين يعلمون الأولاد، ولا تمنع الأهالي الاتصال به.

(29) يلاحظ أن السيد عمر لم يعتبرهم جنوداً له، ولم يحتفظ لنفسه بأي صفة من صفات الرئاسة، وإنما اشترط أن يكون للأمة رئيس تختاره بنفسها ويكون له مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها.

ولما اطلع السيد عمر على هذه الشروط قال للحسن: «غروك يا ابني بمتاع الدنيا الفاني ورضيت بهذه الشروط المزرية!!».

قال الحسن: قد اتفقت مع الحكومة على هذه الشروط ولا يمكنني أن أنقضها. فعندئذ جمع السيد عمر المجاهدين ومشايخ العرب وتلى عليهم هذه الشروط التي أتى بها الحسن، وقال لهم: إني لا أرضى بهذه الشروط، وأفضل الموت جوعاً وعطشاً ولا ألقي بنفسي وإخواني بين أيدي الإيطاليين يتصرفون فينا كيف شاؤوا. وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم إن كانوا راضين بها أو غير راضين. فقالوا لا نرضى بشرط من هذه الشروط. فقال الحسن: لا بد من قبولها. فقال له الشيخ الشريف القاسم العبيدي: إنك لست خالقاً بل أنت مخلوق مثلنا، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فعند ذلك قام الحسن السنوسي غاضباً وقال: ليقم معي كل من يريد أن يتبعني. فقام معه ما يقارب ثلاثمائة رجل، ونزلوا على بئر على مسافة ساعتين من النقطة الإيطالية بمراوة، وعين معه الطليان ميلاكري. ومن هذا الوقت انقطعت العلاقة بين السيد عمر والحسن بن الرضا.

أرسل السيد عمر إلى سيشلياني وكيل الوالي ببنغازي يطلب منه التوقيع على الشروط التي اتفقوا عليها، فلم يرد عليه، فكتب إليه ثانية فلم يرد بشيء، وبقي السيد عمر في انتظار وفاء العهد من بادوليو نحو ستة شهور فلم يرد عليه. وقد أراد الطليان أن يستهووا السيد عمر بالمال فأرسلوا إليه مع بلعون مدير الحاسة في ربيع الأول سنة 1348 يعرضون عليه مليون فرنك هدية فرفضها وفضّل البقاء مع إخوانه إلى أن يأذن الله بلقائه عزيزاً مكرماً.

وقد خطر ببال السيد عمر أنه ربما كان وكيل الوالي لا يبلغه حقيقة الأمر. فأراد أن ينفي هذا الخاطر فكتب إليه ثالثة يطلب الاجتماع به ليعلم منه مشافهة سبب هذا التأخير، وذكر له في كتابه: «وإني أعد رفض مقابلتي إعلاناً منك بقطع المفاوضة ونقضاً للعهد، وعليه فستعود الأمور إلى ما كانت

عليه» فرجع البريد مع أبي بكر البرعصي يقول فيه على لسان الشارف الغرياني مستشار الحكومة في بنغازي: «إن الحكومة مستعدة في كل وقت لمقابلة الحوادث، فلا حاجة لإعلانها بعود الأمر إلى ما كانت عليه».

انتهاء المفاوضات:

وإلى هنا انتهى حديث المفاوضات، وتحقق السيد عمر أن الطليان لا يرغبون في الصلح، وأنهم إنما يطلبون الهدنة لكسب الوقت فقط. وقد كتب هذا الحديث بإذن السيد عمر، ووافق عليه بعد كتابته وعرضه عليه. ومنه يتبين للقارىء أن السيد عمر لم يأل جهداً في طلب الصلح مع الطليان، وقد دامت هذه المفاوضات ستة شهور كان السيد عمر فيها مثال الإخلاص والوفاء. وبقي سبعة شهور بعد آخر اجتماع مع سيشلياني في سيدي رويفع ينتظر رد الجواب، ولم يبد منه ما ينقض العهد، حتى هاجمته الطائرات في 15 شعبان سنة 1348 فكان جواباً صريحاً من الطليان بنقض العهد وإعلان الحرب.

القبض على الحسن:

وفي اليوم العاشر من شعبان سنة 1348 قدم على السيد عمر خليفة بوقليوان البرعصي ومعه نحو مائتي رجل ممن كانوا انضموا إلى الحسن السنوسي، فسأله عما جرى لهم، فقال له: إن الطليان أرادوا أن يأخذوا السلاح من جماعة الحسن فطلبوا إليهم في يوم 8 شعبان أن يأتوا إلى المركز ليأخذوا شهرياتهم، فذهب بعضهم وتأخر البعض، وأرسلوا إلى الحسن ليبيت معهم في المركز فاعتذر في تلك الليلة، ولما أصبحوا وجدوا أنفسهم محاطين بجيوش الطليان، فأمرهم الحسن بعدم الدفاع وركب سيارته[30]

(30) هذه السيارة أهدتها له إيطاليا لما أرسله السيد عمر إلى بنغازي لينوب عنه في إمضاء شروط الصلح، وقد ألغى جميع شروط السيد عمر وجاء بشروط استعمارية بحتة.

وذهب لينظر في الأمر، فلقيه القائد الإيطالي وأنزله من السيارة وأركبه بغلاً وبعث به إلى المركز. وقتل وأسر الإيطاليون من جماعة الحسن نحو مائة وعشرة أشخاص وذهب بالحسن ومن معه إلى بنغازي، وشنق الطليان جماعة من أنصاره وسجنوا الحسن ومعه بعض الأعيان.

وفي 15 شعبان جاءت الطائرات إلى المجاهدين وألقت عليهم مقذوفاتها، وأسقط المجاهدون واحدة عليها هذه العلامة (C.C.M). وكان مجيء هذه الطائرات جواباً للسيد عمر عما كان ينتظره من بادوليو من إمضاء شروط الهدنة، ونقضاً للعهد، وإعلاناً للحرب التي امتدت إلى أن استشهد السيد عمر رحمه الله.

ولما أرسل السيد عمر الحسن بن الرضا إلى بنغازي لينوب عنه في التوقيع على الشروط التي اتفق عليها السيد عمر مع الطليان فإنه ما كاد يصل بنغازي حتى أحاط به الإيطاليون وسماسرتهم، وبذلوا له من الوعود والأماني المعسولة ما بذلوه لأبيه من قبل. فاغترّ بوعودهم وخرج من بنغازي يحمل تعاليم سيشلياني، فشق عصا الطاعة على السيد عمر وبني خيامه بالقرب منه، وصار يدعو الناس إلى الانفضاض من حوله جهرة وعلى رؤوس الاشهاد. وصارت تأتيه الأرزاق والنقود من الطليان بكثرة، وصار هو ومن معه من المنشقين في بحبوحة من العيش، في حين أن السيد عمر ومن معه قد لا يجدون القوت الضروري في كثير من الأوقات. وقد جعل له الطليان مرتباً شهرياً قالوا إنه بلغ خمسين ألف فرنك. وقد بذل السيد عمر مجهوداً كبيراً في إرجاع الحسن إلى رشده وصرفه عن هذا الغي الذي لا يليق بالكرامة، والذي يضر إلى حد بعيد بكرامة العائلة السنوسية، ولكنه عبثاً حاول ذلك ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

وقد استمر الحسن في انشقاقه حوالي ستة شهور من أواخر صفر سنة 1348 إلى 8 شعبان من هذه السنة ورسل الإيطاليين تغدو عليه وتروح على

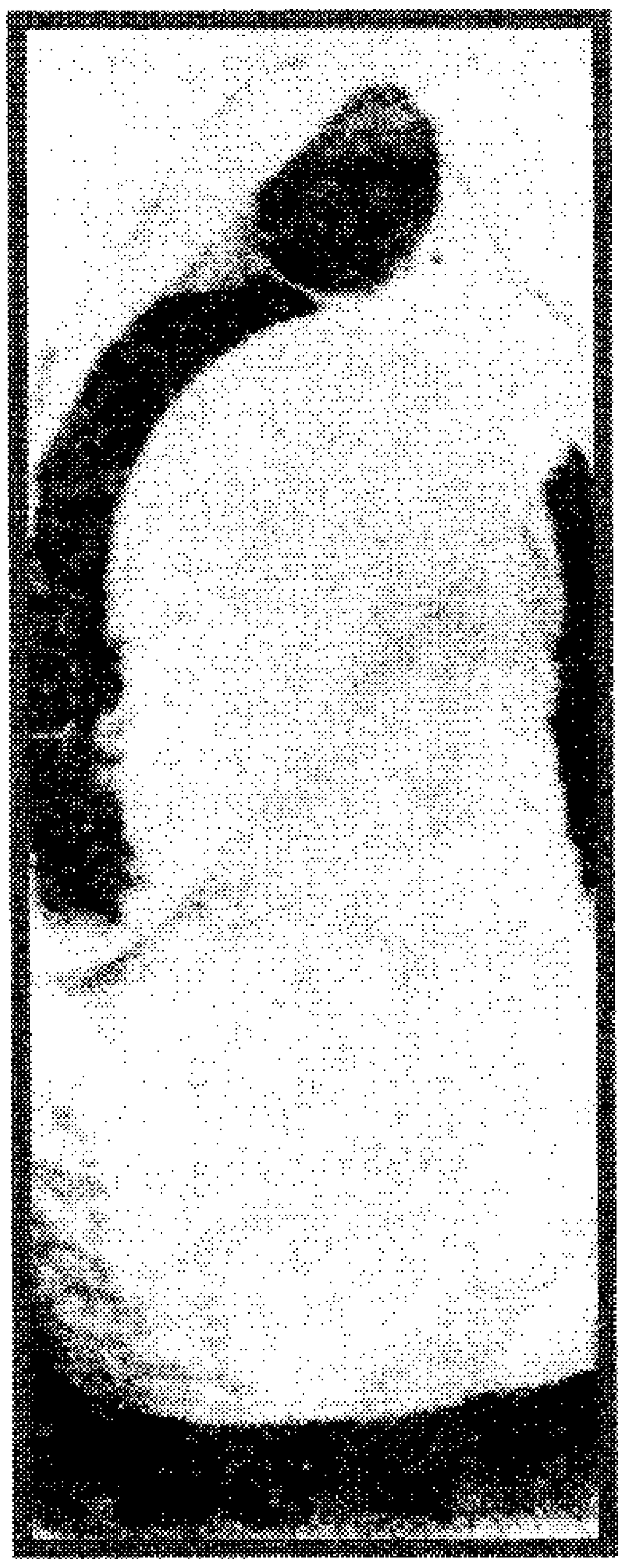

الحسن بن الرضا السنوسي

مرأى ومسمع من السيد عمر وهو لم يمد إليه يده بسوء.

ولما أيقنت إيطاليا أن مركز السيد عمر لا يؤثر فيه انشقاق الحسن عليه، وأنه من المستحيل أن يحقق لها الحسن شيئاً مما كانت تعلقه على مناوأته للسيد عمر اعتزمت القبض عليه وعلى من معه. فدهمتهم بجيشها يوم 9 شعبان سنة 1348 كما ذكرنا آنفاً، وشتت الله شمل (جيش الدقيق[31]) وصاروا إلى ما يصير إليه غير المخلصين.

أما الحسن فقد ذُهب به إلى بنغازي حافي الرجل محاطاً بالجنود ثم نفي إلى روما ودفع الله شره عن السيد عمر بعد أن كاد يستفحل.

وإن الإنسان ليدهش حينما ينظر إلى وقوف السيد عمر المختار مكتوف الأيدي أمام هذا الإنسان الذي يهدم بمعوله في صفوف المسلمين، ويدعو إلى الطليان جهاراً! إلى هذا الحد تصل مهابة السنوسيين من نفس السيد عمر ثم يرمون بأنفسهم في أحضان الطليان متتابعين بلا مبرر.. هذا مما يؤيد أن السنوسيين عجزوا عن الاحتفاظ بمركزهم، وعن السير في ذلك الطريق الذي تركه لهم آباؤهم معبداً. ويعلم الله أن حديثهم الحسن، وصيتهم الذائع في أقطار الأرض، ومهابتهم المخيمة على النفوس لو تُركت لغيرهم من أجداد كأجدادهم لما رأوا أرخص من نفوسهم في المحافظة عليها، ولما وجدوا أحلى من الموت في الدفاع عنها.

(31) هذه التسمية أطلقها المجاهدون على الحسن ومن انضم إليه حين انتمائهم إلى الطليان طمعاً فيما عندهم من الدقيق والنقود.

نداء السيد عمر

ولما لم يف الطليان بوعودهم وذهبت كل مجهودات السيد عمر لاستتباب السلم في البلاد صرخةً في واد وجّه هذا النداء إلى أبناء وطنه، سكان برقة وطرابلس، يفسر فيه حقيقة تلك الأخبار المشوهة التي أذاعها بعض الصحف عن توقيف القتال بين المجاهدين في سبيل الله والمجاهدين في سبيل التسلط والاستعمار.

وقد نشر هذا النداء في جريدة الأخبار بتاريخ أول شعبان سنة 1348 وهذا نصه:

أبناء وطني سكان برقة وطرابلس.

في ابتداء سنة 1348 وأواسط سنة 1929 خاطبتني الحكومة الإيطالية على لسان ممثلها سعادة الوالي المرشال بادوليو بتوقيف رحى الحرب، وتقديم مطالبنا وتعيين محل لمقابلة دولته، فحصل ذلك وتقابلنا بسيدي رحومة[32]، واتفقنا على عمل هدنة مدتها شهران ليخابر كل منا مرجعه. وفي أثناء المقابلة طلب مني تقديم مطالبنا، وقال لي إنه مستعد لإرجاع أميرنا السيد محمد إدريس السنوسي إلى برقة إذا كنا نرغب ذلك.

(32) كان هذا الاجتماع يوم الخميس 5 المحرم سنة 1348 انظر صورته في ما سبق.

ومن جملة شروط الهدنة التي قدمناها ما يأتي:

«أولاً - العفو العام عن كل المجرمين السياسيين سواء كانوا داخل القطر أو خارجه. وإطلاق سراح المسجونين.

ثانياً - سحب كل النقط المستجدة أثناء حرب سنة 1341 بما في ذلك نقطتا الجغبوب وجالو.

ثالثاً - لي الحق في أخذ الزكاة الشرعية من العربان القاطنين حول النقط الإيطالية بالسواحل.

رابعاً - مدة الهدنة شهران وقابلة للتجديد».

فقبل سعادة المرشال هذه المطالب ووعد بتنفيذها.

وقبل انتهاء مدة الشهرين أخبرت سعادة الوالي بواسطة وكيله الكولونيل سيشلياني أن كل الزعماء الوطنيين اتفقوا على انتخاب الأمير محمد إدريس السنوسي. وهو ينتخب معه الرجال الأكفاء من أبناء برقة وطرابلس لتولي المفاوضة مع الحكومة الإيطالية على مطالب برقة وطرابلس، وطلبت من الحكومة أن تخابر سيادة الأمير السيد محمد إدريس السنوسي حالاً لاتخاذ الطرق المؤدية لإنهاء الحالة الحاضرة بأحسن منها. فوعدني سعادته خيراً.

وقبل انتهاء مدة الشهرين طلبوا تجديد الهدنة بدعوى أن الوالي سافر لروما لعرض الأمر على الحكومة وإلى الآن لم يحضر.

وهكذا امتدت الهدنة بالعشرة الأيام وبالعشرين حتى 3 جمادى الأولى سنة 1348 فعرفت أن غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط. لذلك أبلغت الحكومة بواسطة وكيل الوالي أن الهدنة آخرها يوم 20 جمادى الأولى سنة 1348 وأنها غير قابلة للتجديد.

والآن والهدنة على وشك الانتهاء ولم أتلق رداً من الحكومة الإيطالية عن عزمها بمخابرة أميرنا السيد محمد إدريس السنوسي - رأيت أن أخوض غمار الحرب، وأن لا أركن إلى أي محادثة أو واسطة ولو من العائلة السنوسية إلا من اتفقت عليه الأمة وأودعته ثقتها.

ولكن لا أدري لماذا تتجنب الحكومة الإيطالية مخابرة الزعيم المذكور مع علمها تماماً بأن الحل والعقد بيده. فلو كانت حقيقةً تركن إلى الصلح لما ترددت لحظة واحدة في مخابرته.

فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا، وتفكيك أواصر اتحادنا لتتم لها الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك.

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة. وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول إن جميع الشعب الإيطالي يحبذ فكرة الحرب، وخصوصاً في الوقت الذي تتساهل فيه الأمم الأخرى مع الشعوب الشرقية، بل فيه رجال سياسيون ميالون إلى السلم يقدرون مصلحة بلادهم ويعرفون ما تجره الحرب من ويلات ودمار. كما أن فيه أفراداً يريدون القضاء على الشعب الطرابلسي بأي وجه كان.

وهيهات أن يصل الأخيرون إلى غرضهم هذا ما دامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال. وها نحن الآن ندافع عن كياننا ونبذل دماءنا الزكية فداء للوطن وفي سبيل الوصول إلى غايتنا المنشودة.

لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يثوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم، ويسلكوا السبيل القويم، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع.

عمر المختار
قائد القوات الوطنية

❋ ❋ ❋

هذا هو منشور السيد عمر. وهذا ما أملته تلك النفس الطاهرة، وفاض به ذلك الشعور الحي من الصراحة في القول والملاينة إلى حد لم يبق معه شك في أن المسؤول عن تلك الدماء المهراقة في طرابلس إنما هم الإيطاليون.

وقد قال السيد عمر للطليان بمناسبة الهدنة: (اسحبوا الجند، وهدموا المخافر، وألغوا الحرس، فمن اليوم وصاعداً يمكن التجول في برقة بأمان وحرية[33]).

ونحن لا نشك في أن السيد عمر معتزم تنفيذ ما اتفقوا عليه من شروط، أما من جهة الطليان فقد اتضح من سير المفاوضات أنهم لا يقصدون من طلب الهدنة إلا كسب الوقت والتحايل للوصول إلى تشتيت شمل المجاهدين.

ولا يعوزنا الدليل على هذا، فإن هذا المنشور يدل في صراحة على أن السيد عمر المختار بذل من ناحيته، في سبيل الوصول إلى التفاهم، كل ما يمكن بذله: فلبى الدعوة بمجرد وصولها إليه، وشرط تلك الشروط الأولية التي لا يمكن لإيطاليا أن تقيم الدليل على أنها تريد السلم بدونها، وقبل مد أجل الهدنة الذي ما كانت تقصد من ورائه إيطاليا إلا اكتساب الوقت كما ذكره في منشوره، وانتظر رد جواب الإيطاليين إلى آخر لحظة. ولكن الطليان أبوا أن يردوا عليه، مع أنهم هم الذين طلبوا الهدنة، وهم الذين عينوا مكان الاجتماع، وحضره بادوليو والي طرابلس، وبرقة، وتسلم شروط السيد عمر ووعده بالرد عليها.

والحقيقة أن الطليان لا يطلبون الهدنة ليستعملوها في معناها الموضوع بإزاء لفظها، وهي وضع السلاح بين الطرفين المتحاربين لتبادل الآراء فيما

(33) هذه الجملة التي بين دائرتين منقولة عن خطبة غراسياني التي ألقاها في 23 نوفمبر سنة 1930 عن الحالة في برقة وقد عزاها إلى السيد عمر.

يوصل إلى حل المشكلة القائمة بينهما حلاً نهائياً ـ ولكنهم يستعملونها طريقاً من طرق الخداع الحربية للتوصل إلى التغلب على عدوهم. وقد استعمل السيد عمر حقه في جباية الزكاة من العرب القاطنين بالسواحل وما جاورها، وهذا الحق اكتسبه بمقتضى شروط الهدنة، ولما لم يوقع الطليان شروط الهدنة كما وعدوا، ورجعت الحرب إلى ما كانت عليه بين الطرفين امتدت أيديهم إلى كل من أعطى زكاة أمواله للسيد عمر، وحُكم على بعضهم بالإعدام بحجة أن لهم صلة بالسيد عمر.

الرضا يخذل المسلمين

وبعد أن نفي الرضا إلى إيطاليا نحو السنتين جيء به إلى بنغازي للتأثير به على السيد عمر، فصار يكتب إليه في شأن التسليم للطليان، ويبعث إليه الوفود لهذا الغرض. وقد كتب منشوراً ألقته الطائرات الإيطالية على المجاهدين بالجبل الأخضر في يونيو سنة 1930 تبرأ فيه من المجاهدين ومن السيد عمر إذا لم يسلموا للطليان. ولما انشق ابنه الحسن على السيد عمر وانضم إليه بعض الأوباش والمرتزقة خرج إليهم الرضا وخطب فيهم حاضّاً على الانضمام إلى الطليان والانفضاض من حول السيد عمر. وكان يخرج إلى البادية الخاضعة للطليان ويخطب بهذا المعنى، ويصف السيد عمر ومن معه بالعصاة الخارجين، ويحرض الناس عليهم. ورغم العذاب الذي لاقاه فقد ملأ منشوره بذكر الراحة والهناء التي هو فيها.

منشور الرضا:

وهذا نص منشور الرضا الذي ألقته الطائرات على المجاهدين في يونيو سنة 1930، وقد نشرته جريدة بريد برقة[34] يوم الأربعاء 5 ربيع الآخر سنة 1350 قال الرضا:

---

(34) قالت بريد برقة: لما أمرت الحكومة بإقفال الزوايا السنوسية في قطر برقة وجه حضرة السيد محمد الرضا بن السيد مهدي السنوسي نداء إلى الأهالي لم تسمح الظروف بنشره وقتئذ.

«إلى العرب المخالفين لنا وللدولة هداهم الله

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**الدين النصيحة**».

فعملاً بهذه الأوامر الشريفة لا أضن عليكم بنصحي لكي أتخلص من المسؤولية الدنيوية والأخروية. ويسوءني والله أن أرى هذه الحالة وما ستؤول إليه من العاقبة الوخيمة.

أنا سنوسي لا أنكر صفتي هذه، ولا أستنكر ما أسسه أوائلي، وما يرمي إليه تأسيسهم من الغايات الشريفة ألا وهي تعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم، وأحكام الدين الحنيف، وإطعام الفقير وابن السبيل ورد المنهوبات، والصلح بين المتنازعين، ومنع الشقاق. وليس مثل سلوك الإخوة ابن العم السيد أحمد الشريف، والأخ السيد إدريس الذين قصدوا السلطة الزمنية وإقامة الحرب والغزو.

فهذه الخطة ناشئة عن مقصدهم الذاتي لا علاقة لها بالطريقة السنوسية ولا ترضي الأب ولا الجد، بل كل منهم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وأنا أيضاً أتبرأ منهم في ذلك وليس لي بهم علاقة. أشهد الله وعباده على هذا.

وإنني أحمد الله الذي هداني إلى الرجوع إلى الحق والتخلي عن الخطط المبتدعة الضارة للبلاد والعباد.

الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل، نسأل الله الهداية والتوفيق.

فإن كنتم منتسبين للسنوسية فاتبعوا نصيحتي، وفكروا جيداً تجدوني لكم حقاً من الناصحين.

أما السنوسيون الآخرون فلو كانوا يريدون لكم الخير لحضروا لصالحكم واتصلوا بالحكومة ليتم كل خير. وحيث التجأوا لدولة أخرى فأين دليل شفقتهم عليكم. ولا معنى لإصغائكم لأقوالهم بعد أن تركوكم نهائياً، كفاكم من هذا التهور.

أما أنا هنا في كنف الحكومة الجليلة فأود لكم الخير واتباع الطريق المستقيم، أنا الذي مع الحكومة أعرف مقدار رحمتها لمن يطيع ويخلص، فمتى سلمتم تجدوا الرحمة والشفقة، وأنا أضمن لكم ذلك.

إن خضوعي لدولة إيطاليا الفخيمة قد كان مني عن طيبة خاطر ولم أكن مكرهاً عليه، كما أني لست مكرهاً اليوم على نصحكم هذا، بل هو صادر عن ضميري ونتيجة التجربة الصحيحة والتفكير في الصالح العام. لذلك نبذت كل شيء باطل ورجعت إلى الدولة. فتأكدوا أنني بالقلب والذات مع هذه الحكومة أعادي من يعاديها وأصادق من يصادقها. أشهد على ذلك الله وعباده.

لقد بذلت جهدي ونصحتكم في شحات، وفي الدور، وما كنت أظنكم تتركون نصحي وتتبعون من يدلكم على العصيان الذي هو سبب كل ما حل بكم وجربتموه من الهلاك والضرر. أما كفاكم حتى أضعتم الفرصة التي كان يمكنكم الحصول فيها على خيركم وراحتكم، ولكن لا يزال الأمر مستدركاً فالحكومة رحيمة.

إن دولة الجنرال رودلف غراسياني العزيز رحيم عادل، إذا سلّمتم تجدوه أباً شفوقاً. فاتبعوا نصحي وارجعوا إلى الخير، فإن أبيتم فستندمون أشد الندم، وأنا بريء منكم وإن لم تتبعوني تلحقكم دعوة الشر.

الحكومة الجليلة متصفة بكل فضيلة، وستجدون لديها الخير والرحمة إن شاء الله إن أخلصتم وسلمتم.

إن عملكم الآن أضر بأخوتكم المسلمين الطائعين، وقد قال ﷺ: **«من**

آذى مسلماً كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل».

يقولون نحارب عن ديننا ووطننا: فدينكم لم يتعدَ عليه أحد، ها هي الجوامع عامرة والعوائد محترمة، وأما وطنكم فقد خربتموه بأيديكم. هل الدين ينص على نهب إخوانكم المسلمين؟ انتصحوا وارجعوا إلى الحق وإلى الحكومة الشفوقة.

إن هذه الدولة الجليلة سخرها الله عز وجل لإحياء البلاد وإسعادها وأبنائها، فأنتم بعنادكم هذا خالفتم أمر الله فتخشون سوء العاقبة، إذ كيف لا نرضى بأمر الله وقضائه! نعوذ بالله من غضب الله. لا يجري شيء إلا بإرادة الله، يجب الاعتقاد بهذا على كل مسلم.

أدعوكم للرضى والتسليم لأمر الله وللدولة الفخيمة أيدها الله.

إني أنا سنوسي محض، ولكنني أبرأ إلى الله أمام الدولة من أعمال الإخوة ولست معهم ولا منهم.

إن مشايخ الطريقة الذين هم السيد محمد بن علي السنوسي الجد، ووالدي السيد محمد المهدي الذين أخذتم عنهم الطريقة لا يرضون بهذا السلوك المغاير، وها أنا أستدل لكم بما كان منهم سابقاً:

عندما احتل الإنجليز مصر دعا عرابي باشا والدي للاشتراك معه في الحرب، وكان والدي إذ ذاك مقيماً بالجغبوب فرفض بتاتاً، ولو كان يريد لفعل. وحيث إن الأوائل مقصدهم العبادة المنزهة عن كل غرض دنيوي، وقد أتموا هذا المقصد الشريف على ما يرام ـ فيجب علينا وكل من يتبعنا نبذ ما حدث جديداً من الإخوة المذكورين.

ولو كان الوالد حاضراً لما حصل هذا الحال الضار. لهذا أدعوكم إلى ترك العصيان، فهذا الذي يخلصكم مع الأستاذ رضي الله عنه الذي يجب أن نقتدي بأعماله، ونحيد عن الخطط المبتدعة بعده.

وأنا أدعوكم إلى التسليم، وإلا فلستم منا ولا نحن منكم. وبعد هذا لا أكون مسؤولاً عند الله ولا عند الحكومة عما يلحق بكم من الضرر، حيث بذلت لكم نصحي بالصراحة التامة التي لا أحب سواها. قال عليه الصلاة والسلام: «**لا خير في قوم لا يتناصحون. ولا خير في قوم لا يقبلون النصيحة**».

أما حجز أملاك السنوسية ومصادرتها فهو حكم عادل، وقد سببه الإخوة فهم المسؤولون أمام الجد عما أجروه لإفساد ما أسسه لهم، وهم بعملهم هذا أحرجوا مركز السنوسية وشوهوا سمعتها.

هذه نصيحتي لكم (والنصح أغلى ما يباع ويوهب) لا أبتغي بها إلا الأجر من الله والمثوبة، فاتبعوني وأنقِذوا رقابكم من الموت لأجل أغراض شخصية للغير لا تجنون أنتم منها إلا الفناء».

محمد رضا السنوسي

هذا منشور الرضا، وهذا ما يدعو إليه من الانشقاق والتخلي عن السيد عمر، وهو يصرح في هذا المنشور بملء شدقيه أنه بريء مما قام به السيد أحمد السنوسي من الجهاد في سبيل الله أمام دولة إيطاليا ومما عمله السيد أحمد ويشهد الله وعباده على ذلك.

وقد شهدنا على هذه البراءة، كما نُشهد نحن الله ونشهده هو وعموم المسلمين أننا براء مما أتاه من الأعمال الشاذة التي تزري بالمسلمين عموماً والسنوسيين خصوصاً.

حشر العرب في العقيلة:

لما لم ينجح الحسن بن الرضا في عمله فكر الطليان في نقل العرب من حوالي الجبل الأخضر وفصلهم عن المجاهدين حتى يبقى المجاهدون

في عزلة، فتم نقلهم في شهر سبتمبر سنة 1930 فنقلوهم أولاً إلى عين الغزالة حيث بقوا هناك نحو أربعة أشهر، ومنها ذُهب بهم إلى العقيلة، وهي على حدود برقة الغربية. وكان يبلغ عددهم 80 ألفاً، ومعهم من الإبل والغنم ما يزيد عن ستماية ألف. وقد عينوا لهم منطقة لا يتجاوزونها، وهذه المنطقة لا تكفي لسكنى عشرهم فضلاً عن سكناهم جميعاً.

وقد فتكت بهم الأمراض والجوع فتكاً ذريعاً، وامتدت يد السياسة إلى أعيانهم وذوي الوجاهة فيهم. وكان حصر عرب الجبل الأخضر في العقيلة صورة مصغرة من يوم المحشر الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين. وقد بقي العرب في محشرهم هذا من سبتمبر سنة 1930 حتى أواخر سنة 1934 حيث أُذن لمن بقي منهم بالرجوع إلى جهة برقة الحمراء والبطنان، وسلموا أملاكهم بالجبل الأخضر إلى عائلات إيطالية وهم لا يتجاوزون الخمسة عشر ألفاً.

وكان فصل العرب عن المجاهدين أمضى سلاح استعملته إيطاليا للقضاء على الثورة في برقة، وكان من أفظع ما تبيحه الحروب للقضاء على أحد المتحاربين.

وهذا العمل الخطير الذي أتته إيطاليا أحس بخطره السيد عمر، وعلم أن عاقبته سوف لا تحمد إذا لم يتدارك الله هؤلاء المجاهدين بلطفه، ولكنه صمد له صموده لكل الحوادث التي مرت به، وواجه عدوّه بقلب ملؤه اليقين بأنه على حق فيما يقوم به من الدفاع عن الوطن، والله يؤتي نصره من يشاء.

وبعد انتهاء نقل البادية إلى العقيلة اتجهت نية الطليان إلى احتلال الكفرة فأخذوا في الاستعداد لذلك.

الكفرة

هي مجموع واحات في صحراء ليبيا تقع في جنوبي بنغازي على مسافة نحو ألف كيلومتر. وهي عشر واحات، وترتيبها من الشمال إلى الجنوب: تازربو. الزيغن (غير مأهولة) بوزيمة. ربيانة. الهواري. الهويويري. الجوف. البومة. البويمة. الطلاب. وبعض الناس يطلقون الكفرة على الجوف، وبومة، وبويمة، والطلاب. وفي الكفرة تقع قرية التاج وهي القرية التي أنشأها السادة السنوسية، بها مساكنهم الخاصة، وفيها زاويتهم المشهورة بزاوية التاج. وسميت زاوية التاج لأنها بنيت على جبل يقال له التاج. وقد زارها صادق بك المؤيد مندوب السلطان عبد الحميد في حياة السيد المهدي سنة 1314هـ.

والكفرة أكبر معقل للسادة السنوسية، وفيها كل ما يثقل حمله أو يعز وجوده. وبها خزانة كتب للسادة السنوسية يوجد فيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في غيرها. وبها آبار وفيها مزارع كثيرة. وسكانها قبيلة عربية. وفيها قليل من «التبو» وهم سكانها الأصليون من السودان أجلاهم عنها العرب. وأول من افتتح الكفرة من العرب الجوازي، ثم الجهمة، في أزمان مجهولة لنا. والطلاب والزرق قريتان من قرى الكفرة، وهما اسمان لبعض الأسر من قبيلة الجهمة التي كانت فتحتها أطلقا على هاتين القريتين. ويبلغ ارتفاع التاج عن سطح البحر 475 متراً.

الاستعداد لاحتلال الكفرة:

كانت القوات الإيطالية قامت بعدة استكشافات لاختبار طريق الكفرة، ففي 5 ربيع الأول سنة 1349 قامت الطائرات من جالو في الساعة الرابعة والنصف ووصلت إلى تازربو في الساعة السابعة، وبقيت ترمي القنابر نحو عشرين دقيقة ثم عادت إلى جالو في الساعة العاشرة.

وفي 27 منه قامت اثنتان وثلاثون سيارة مصفحة من جالو تحمل مائة وعشرين شخصاً برياسة لورينزيني قائد فرقة السيارات المصفحة إلى بئر الزيغن. وفي اليوم الرابع لخروجها من جالو وصلت إلى الزيغن. وبعد أن تجول لورينزيني في وادي الزيغن وتحقق من وجود الماء الكافي فيما إذا أراد أن يجعل الزيغن نقطة متوسطة للمؤن والذخيرة ـ رجع إلى جالو يوم 3 ربيع الآخر سنة 1349، وكانت المسافة بين جالو والزيغن 400 كيلومتر. وكل هذه الحركة لاختبار الطريق ولاستكشاف ما عساه أن يعترض الحملة في طريقها إلى الكفرة.

أكبر حملة في برقة:

كانت هذه الحملة من أكبر الحملات التي عرفت في تاريخ الاحتلال الإيطالي في برقة. فقد استخدم فيها من الإبل خمسة آلاف جمل لنقل المؤن والذخيرة، وثلاثة آلاف جمل أخرى لنقل الجنود. واشتركت في هذه الحملة عشرون طائرة كانت مجهزة بألفي قنبرة[35] زنة الواحدة كيلوغرامان، وبأربعمائة قنبرة أخرى زنة الواحدة منها اثنا عشر كيلوغراماً.

وكانت هذه الحملة مقسمة إلى قسمين: قسم ابتدأ حركته من واو الكبير[36]، بقيادة الماجور كلمييني، وقسم ابتدأ حركته من جالو بقيادة الكولونيل ماليتي.

---

(35) قنبرة بالراء.

(36) واسمه أيضاً واو الشعوف وهو إلى الجنوب الشرقي من زويلة على مسافة ثلاث مراحل،

وابتدأ الفريقان حركتهما في 6 شعبان 1349 واجتمعا في بئر الزيغن يوم 19 منه، وقد جعل الطليان بئر الزيغن مركزاً متوسطاً لاجتماع الجيشين فيه، ومنه توجه الجميع إلى الكفرة.

احتلال الكفرة:

وفي يوم 29 شعبان 1349 وصلت هذه القوة الكبيرة إلى الكفرة واشتبكت مع الأهالي في معركة ابتدأت من الساعة العاشرة وانتهت في الساعة الواحدة بعد ظهر هذا اليوم. وكان الغرض من هذه المعركة إيقاف الجيش الإيطالي قليلاً من الزمن ليتمكن من يريد الهجرة من الفرار. وتم احتلال الكفرة في أول يوم من رمضان سنة 1349 ورفعت الراية الإيطالية على زاوية التاج في الساعة الثالثة بعد ظهر هذا اليوم.

وقد فر أهل الكفرة زرافات ووحدانا على غير هدى لا يلوون على شيء. وقد ذكر البلاغ الرسمي الإيطالي (أن الجنود والطائرات تعقبت الفارين وطاردتهم على مسافة مائتي كيلومتر وقد تركوا في الطريق نساء وأطفالاً).

ونحن نذكر هنا ما ذكرته الأهرام في عددها الصادر يوم الثلاثاء 27 شوال سنة 1349 من الأعمال الإنسانية التي قام بها صاحب الهمة العالية عبد الرحمن أفندي زهير مأمور الواحات الداخلة ورفقاؤه لإنقاذ أهل الكفرة الفارين من مخالب الموت ليعلم مقدار ما ألجأ أهل الكفرة إلى اقتحام هذا الموت الأحمر.

وبه زاوية للسادة السنوسية. وفي أثناء هجوم الطليان على فزان نقل إليه عبد الجليل بن سيف النصر ما يهمه نقله وترك هناك والدته وابن عمه السنوسي. ولكن الجيش الإيطالي تقدم إلى واو فاحتله يوم 13 يناير سنة 1930 وأخذ كل ما تركه عبد الجليل هناك، وقد ذكر البلاغ الإيطالي إذ ذاك أن الطليان أخذوا مائة قطعة كلها ملأى بالنقود، وقتل السنوسي بن غيث بن سيف النصر وأسرت والدة عبد الجليل.

ما كتبته الأهرام:

(في يوم الثلاثاء 24 فبراير سنة 1931 قدم أحد عرب الكفرة إلى ناحية بلاط بالواحات الداخلة، وأبلغ أن دولة الطليان أرسلت جيشاً لاحتلال بلادهم على غرة منهم في أول يوم شهر رمضان سنة 1349 بدون استعداد منهم. وحدثت مقاومة بين الفريقين إلى أن نفدت ذخيرة العرب، وعلى ذلك أخذوا يهاجرون من البلاد إلى نواح شتى، فبعضهم قصد بلاد السودان، وبعضهم قصد إلى واحة سيوة، وآخرون إلى الفرافرة والواحات الداخلة، ومع كل فريق من المهاجرين الذراري والأطفال والنساء مشاة وركباناً. وقد تبعتهم الطائرات الإيطالية على بعد ثلاثة أيام من الكفرة فقتلت معظم الجمال التي كانت معهم. وكان أول من أبلغ الخبر ذلك العربي الذي طوحت به المقادير إلى بلدة بلاط المتقدم ذكرها على غير هداية. فأحضره عمدة البلدة إلى مركز الواحات الداخلة فأبلغ الخبر لحضرة المأمور عبد الرحمن أفندي زهير، وأعلمه أنه ترك في أثناء الطريق عدداً كبيراً من النساء والرجال والأطفال على حالة خطرة. فقام حضرة المأمور وحضرة طبيب المركز يتموا أفندي قولته على سيارات الحكومة بقصد إنقاذ من تركهم هذا العربي، فأحضروا إحدى عشرة نفساً بعد الاسعافات اللازمة. وقد حضر بعض منهم إلى موط بلدة المركز وقالوا إنهم تركوا وراءهم عدداً كبيراً من الرجال والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون مواصلة السير، وأنهم أشرفوا على الهلاك وبعضهم مات بالفعل. فأثر ذلك في حضرة المأمور وأخذته الغيرة الإنسانية فهب لإنقاذ هؤلاء البائسين، وتطوع معه حضرة المفضال الشيخ أبو بكر خليل عبد الحافظ عضو مجلس النواب السابق بسيارته الخصوصية، بعد أن أخذ كل منهما ما يمكن حمله من الماء والبرتقال لإسعاف هؤلاء المنكوبين. وكان بصحبتهما أيضاً في سيارة الصحة إبراهيم أفندي السعداني باشتمرجي مستشفى الداخلة ومعه الإسعافات الأولية.

وكان قيامهم من مركز الداخلة الساعة 3 من مساء يوم الأربعاء 25

فبراير، وساروا في أثر من حضروا لمركز الداخلة. وبعد مضي ثلاث ساعات من السير المجد وجدوا بعضاً من القوم في النزع الأخير، فأسعفوهم الإسعاف اللازم وتركوا لهم ما يلزم من الماء وأمروهم بالسير في أثر السيارات، ومن لم يستطع السير يبقى بمكانه حتى تعود السيارات لأخذه. ثم ساروا ينهبون الأرض حتى الساعة التاسعة والنصف مساء فوجدوا فريقاً آخر حالتهم أدهى مما سبق. فأعطوهم من الشراب ما رد حياتهم. وفي هذا الوقت خافوا أن يضلوا الطريق أو يتركوا أحداً لم يشعروا به من سرعة سير السيارات وشدة الظلام، فباتوا في الجبل.

ولما أصبح الصباح واصلوا السير في الأثر، فوجدوا أناساً متفرقين في أماكن مختلفة ومعظمهم نساء وأطفال، فخففوا آلامهم وعملوا معهم كسابقهم. وفي أثناء سيرهم وجدوا بعضاً منهم أشرف على الهلاك، وكانوا يجدون الرجل وحده والمرأة كذلك لأنهم فقدوا الماء منذ اثني عشر يوماً. وكانوا في أثناء تلك المدة يشربون دم الإبل وعصير الفرث. وما زالوا يجدون في السير حتى الساعة الثالثة من مساء الخميس فوجدوا أن البنزين الذي كان معهم أشرف على الانتهاء لأنهم قطعوا في هذه الرحلة ما يقرب من أربعماية كيلومتر، فعادوا. وكانوا يحملون معهم في السيارات من خانته قواه ولم يستطع السير، ويعطون الماء الكافي لمن وجدوا فيه قوة على المشي ثم باتوا بالجبل حيث كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل.

وفي صباح الجمعة واصلوا السير حتى وصلوا مركز الداخلة الساعة العاشرة صباحاً. وقد أنقذوا في هذه الرحلة نحو المائة والخمسين نفساً معظمهم نساء وأطفال.

وكانوا يجدون أطفالاً في داخل أخراج على ظهور الإبل. ولقد كانت المرأة تنسى أولادها من شدة العطش، وما كانوا يشعرون بهم إلا من صياحهم على ظهور الإبل يتبعهم خمسون نسمة ـ منهم أربعة عشر رجلاً والباقي نساء وأولاد. ووجدوا كثيراً قد مات فدفنوه.

ولما أُسعف بعضهم وعادت له قواه أخبر بأنه ترك نحو خمسين نفساً في طريق أخرى فاكترى سيارات الشركة وتوجه يوم السبت للبحث عنهم).

❊ ❊ ❊

وقد أثنت الأهرام على عبد الرحمن أفندي زهير ورفقائه ثناء مستطاباً على ما قاموا به من عملية الإنقاذ لهؤلاء المنكوبين.

والطرابلسيون جميعاً تقصر يدهم عن مكافأة عبد الرحمن أفندي زهير مأمور الواحات الداخلة، والشيخ أبي بكر خليل عبد الحافظ ورفقائهما على هذا العمل الجليل الذي يرونه منة في أعناقهم يجب أن يحفظوها لهم في قرارة نفوسهم، ويعلّموها أبناءهم لينشأوا على حب هؤلاء السادة الذين أنقذوا إخوانهم، مهاجري الكفرة، ابتغاء مرضاة الله وحباً في الخير.

فإلى الله نرفع أكف الضراعة راجين أن يفيض عليهم من بره وإحسانه أضعاف ما أهدوه إلينا من بر وإحسان، وأن يدفع عنهم ما يكرهون في هذه الحياة كما دفعوا عن إخواننا مرارة الموت في تلك الصحراء المحرقة.

تأثير احتلال الكفرة:

كان احتلال الكفرة كالصاعقة انقضّت على الرؤوس وأحس بخطرها كل من يهمه أمر طرابلس وأمر السيد عمر المختار ومن معه من المجاهدين في الجبل الأخضر. وصارت النفوس توجس خوفاً على مصير تلك الحركة التي ما تزال شجى في حلق الاستعمار الإيطالي. وزاد تساؤل المسلمين عن مصير السيد عمر، ذلك الرجل العصامي الذي طبق ذكره الآفاق، وملأ حبه قلوب الناس، وأُعجب بشجاعته كل الذين يشتغلون بالسياسة الشرقية، والذين يتتبعون حركات الاستعمار في البلاد الإسلامية.

التضييق على السيد عمر:

ولم يبقَ منفذ للسيد عمر يتصل منه بالعالم بعد احتلال الكفرة إلا

الحدود المصرية المخفورة بجيوش إيطاليا وطائراتها ولكن هذه الجيوش وتلك الطائرات ما كانت تمنع السيد عمر من الاتصال بالأسواق المصرية ليرسل إليها ما يغنمه المجاهدون من الطليان من حيوانات ومتاع، ويختار منها لجيشه ما يلزمه من النفقات. فإنهم كانوا يجتازون الحدود المصرية بقوة السلاح وعلى مرأى من تلك الجنود الإيطالية.

وبعد أن رجع غراسياني من الكفرة فكر في حصر المجاهدين من ناحية الحدود المصرية فرأى أن مسألة الجنود والطائرات غير كافية لمنع اتصال المجاهدين بالأسواق المصرية. وأخيراً رأى أن يضيف إلى قوة الطائرات والجنود قوة ثالثة هي الأسلاك الشائكة، فشرع في مدها من غربي بئر الرملة وانتهى بها إلى ما بعد الجغبوب. وهذه المسافة لا تقل عن ثلاثمائة كيلومتر. وكان الابتداء في مد هذه الأسلاك في شوال سنة 1349 وانتهى في ربيع الأول سنة 1350.

وبعد مد الأسلاك الشائكة أصبح المجاهدون منقطعين عن جميع البشر من جميع الجهات، وقد حاولوا عدة مرات اختراق هذه الأسلاك فكانوا يلاقون أشد العنت في اختراقها.

ثبات السيد عمر:

وقد استمر السيد عمر بعد مد الأسلاك الشائكة في جهاده، ثابتاً في موقفه أمام العدو، مؤملاً من إخوانه المسلمين أن يسعوا في تفريج هذه الضائقة التي حلت به وبرجاله إلى أن وقع أسيراً في ميدان القتال عليه رحمة الله.

* * *

مقدرة السيد عمر:

وقد كان السيد عمر في حروبه ببرقة رحب الذراع، مضطلعاً بأمر

الحرب، لا مترفاً إن ساعده رخاء العيش، ولا يخشع للمكروه إذا عضه، ولا يطعم النوم إلا ريثما تبعثه هموم تكاد تتحطم لها أضلاعه، يقظاً لما يدبره الأعداء، كأنما يوحى إليه بما يبيتونه في خفائهم. عركته الأيام بما زاده خبرة بما تلده من الأحداث جليلةً كانت أو حقيرة، لم يشغله مال ولا بنون عن الإشراف على جزئيات هذا الأمر الذي ظل يحنو عليه حنو الأب الشفوق على أنجب أولاده حتى لفظ آخر أنفاسه عليه رحمة الله.

فهو كما قال لقيط:

لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه همٌّ تكاد حشاه تحطم الضلعا

آمال السيد عمر:

وكانت نفس السيد عمر مملوءة أملاً بنجاح ما هو بصدده على رغم ما اتخذه أعداؤه من وسائل التضييق عليه، وعلى رغم ما كان يبدو له من شبح الخطر الذي كان يتهدد حركته ما بين حين وآخر.

ومنشأ هذا الأمل ما كان يلاقيه من النصر على أعدائه وما كان يشاهده على رفقائه من النشاط والمران على الحرب، والصمود لها والثبات أمام أعدائهم الكثيرين.

وقد كانت قوة إيمانه، وعزمه على الاستماتة في الدفاع ـ طال الزمن أو قصر ـ يوجدان في نفسه أملاً آخر وهو أن المسلمين ستثور في نفوسهم حمية الإسلام فيمدون إخوانهم ما يدفع عنهم خطر الجوع الذي لا يخشون غيره.

إنشاء دعاية في مصر:

ومن أجل هذا الأمل فكر السيد عمر في إنشاء دعاية في مصر للفت نظر المسلمين إلى هذه الحفنة من إخوانهم بالجبل الأخضر، لكنه لم يتيسر

له. وكان يؤمل أن يكون إدريس العاملَ القوي في هذه الدعاية، ولكن - لأسباب هو أدرى بها - ما كان يتظاهر بشيء يفهم منه أن له صلةً بالسيد عمر، وما كان يصعب عليه - وهو على ما عليه من جاه وثروة - أن يخدم طرابلس بمثل ما خدم به مصرَ مصطفى كامل، أو محمد فريد، أو سعد زغلول، أو غيرهم من زعماء الشرق الذين يجدون في خدمة وطنهم لذة دونها لذات الحياة كلها.

ومن الأسباب التي دعت إلى تغلب الطليان على الثورة الطرابلسية تخاذل المسلمين، وقعودهم عن القيام بالواجب، وانصراف كل منهم إلى شأنٍ لا يتصل بمصلحة غيره قط، وتغافلهم عما يدسه لهم الفرنجة من أسباب الشقاق والتنابذ، وترك الزعماء منهم قيادة الأمة إلى ما يحفظ عليها كرامتها ومجدها، وانشغالهم عن النظر في شؤونها بمسائل الحزبية التي أذهبت ريحهم، وفرقت كلمتهم، وحرمت الأمة الإسلامية ما كان لها من عزة ومجد، وأتت على أساس ما شيده لها نبيُّها محمد ﷺ من قواعد الاتحاد والتضامن.

كل هذا وأكثر منه فتّ في عضد جهاد الليبيين، وعجّل بهزيمتهم، على رغم مثابرتهم على الدفاع اثنتين وعشرين سنة، لا يأبهون بجيوش الطليان وأساطيلهم، ولا يعتمدون في مقاومتهم إلا على ما يمدهم الله به من عون. وعلى إيمانهم بحقهم، وعلى ما يغنمونه من عدوهم من سلاح أثناء تلك المعارك الدامية.

ولقد قال حافظ إبراهيم في هذا المعنى:

حاتمَ الطليان قد قلَّدتنا ... مِنَّةً نذكرُها عاماً فعاما
أنتَ أهديتَ إلينا عُدَّة ... ولباساً وشراباً وطَعاماً
وسلاحاً كان في أيديكُم ... ذا كلالٍ فغدا يفري العِظاما
أكثِروا النزهةَ في أحيائنا ... ورُبانَا إنها تشفي السقاما

لـــسْـتُ أدري بــتَّ تَــرعــى أُمَّــة   مـن بنـي الطـليـان أم تـرعـى سَـوامـا

ودامت الحرب في طرابلس اثنتي عشرة سنة لم يتمكن فيها الإيطاليون من مجاوزة أسوار المدن وحماية الأسطول، إلا في سنة 1913 وأول 1914 حيث وصلوا إلى فزان ثم رجعوا في ديسمبر من هذه السنة منهزمين شر هزيمة، لم يلاقوا مثلها في حروبهم الطويلة في ليبيا[37].

ثم أخذ الفناء يتسرب إلى ما في أيدي الليبيين من العتاد الحربي، لعدم الإعانة الخارجية، لأنهم كانوا يعتمدون على ما يغنمونه من الطليان كما ذكرنا آنفاً. وسرت فيهم عوامل الضعف.

ومما زاد عواملَ الضعف قوة أن الطليان أمكنهم أن يستغلوا ما كان من خلاف قائم بين بعض المواطنين، إلى درجة أنهم أمكنهم تجنيد بعض المرتزقة في جيشهم ضد مواطنيهم ممن كانوا يحاربون الطليان. وكان أولئك المرتزقة أمضى سلاح تمكن به الإيطاليون من القضاء على الحركة الوطنية، وإنهاء الحرب الليبية في صالحهم.

وفي سنة 1341هـ الموافقة سنة 1922 أراد الليبيون أن يوحّدوا صفوفهم، وقبل هذا التاريخ كانت طرابلس تحارب وحدها، وبرقة تحارب وحدها.

وقد خيل إليهم أن إمارة إدريس السنوسي قد تكون سبباً في جمع شملهم. فلجأوا إليه وبايعوه بالإمارة، لتجتمع طرابلس وبرقة تحت راية واحدة. وليتهم لم يفعلوا، فإنه بعد قبول البيعة بنحو أربعين يوماً نقض عهده، وأخلف وعده. ولم يفِ بشيء مما اشترط عليه في وثيقة البيعة، ولا مما التزم به في الرد عليها، وهرب إلى مصر، وأخذ من الأموال ما يكفيه بقية حياته، وترك الدار تنعى من بناها.

---

(37) انظر «جهاد الأبطال» من هذا الكتاب.

وكانت بيعة إدريس السنوسي في أشد الظروف حرجاً، وبعد أن جلا أكثر سكان السواحل، واحتل الطليان كل المناطق الغربية.

وكان الليبيون رأوا في بيعة إدريس بالإمارة آخر علاج يمكن أن يبعث في النفوس الأمل في شفاء ذلك المريض الذي كان في حالة الاحتضار، ولكنها ـ وللأسف ـ كانت الخنجر المسموم الذي طعن به إدريسُ السنوسي الشعبَ الليبي.

وكان هروبه إلى مصر ـ بعد قبول البيعة ـ الضربةَ القاضية التي قضت على كل أمل في النجاح. فانهارت قوى الشعب، واضطر إلى الجلاء بعد أن رمى في المعركة بكل ما يملك من رجال ومال، وملأ ما بين الجزائر ودمشق. وسكن إدريس دور قاهرة المعز وقصورها، يتمتع بما جاء به معه من أموال لا يعلم إلا الله من أين اكتسبها.

وبقي السيد عمر ورفاقه في الجبل الأخضر. وكان من أمره ما ذكرناه آنفاً. وبموته مات الجهاد في ليبيا. وتم الأمر فيها للإيطاليين، بسبب النكبة التي أصيب بها الشعب من جرَّاء عدم وفاء إدريس بالبيعة.

أسر السيد عمر

من عادات السيد عمر أن يقوم باستكشاف مواقع العدو وتبييت حركاته ومعرفة ما عساه أن يقوم به من هجوم عليهم على حين غفلة، وقد تكرر هذا منه في نفر من أصحابه لا يتجاوزون الأربعين فارساً على الأكثر.

وبينما هو يسير مساء يوم الجمعة 28 ربيع الآخر سنة 1350 لهذا الغرض في سرية من أصحابه نحو الخمسين فارساً بناحية سلنطة إذ فاجأته جيوش الطليان، وكان دودياشي حاكم المرج قد أخذ خبراً بخروج السيد عمر في نفر قليل، فسرح له طابورين من عساكر الأريتريا، والكتيبة السابعة من الخيالة الليبيين للقبض عليه.

وما إن جاء مساء هذا اليوم حتى التقى السيد عمر بطلائع العدو، فحاول هو وأصحابه الخروج من الوادي الذي هم فيه مخافة الالتفاف بهم، فاتجهوا إلى ناحية أخرى. ولكن اتجاههم كان إلى ناحية أتى منها قسم آخر من خيل العدو، فوقعوا بين نارين. فاشتبك القتال بينهم وبين خيالة العدو رجاء أن يتخذوا لهم طريقاً نحو النجاة، فأصلتهم الجنود من ورائهم ناراً حامية. وقتل كثير من أصحاب السيد عمر، وقتل حصان السيد عمر فوقع به على الأرض وجرح هو. وبينما هو يحاول النهوض إذ رآه أحد الجنود فتقدم إليه وقبض عليه. وبعد أن تحققوا من شخصيته طيروا الخبر إلى دودياشي

حاكم المرج فحضر في طيارة، وقد عرف السيد عمر لمجرد رؤيته لأنه اجتمع به عدة مرات في المفاوضات[38]. فحُمل السيد عمر في الحال إلى سوسة، ومنها أُركب البحر في الطراد أوسيني إلى بنغازي. وفي الساعة الخامسة من مساء يوم السبت 29 من الشهر المذكور وصل الطراد إلى بنغازي، وأنزل السيد عمر ونقل إلى السجن في سيارة المساجين، وبقي فيه إلى يوم الثلاثاء 3 من جمادى الأولى سنة 1350 وهو اليوم المحدد لمحاكمته.

ومن الأسف أن عاكف أمسيك الغرياني كان أحد رؤساء المرتزقة الذين كانوا يحاربون السيد عمر المختار وقبضوا عليه.

محاكمة السيد عمر:

وقد عقدت هذه المحكمة في القاعة الكبرى في مركز إدارة الحزب الفاشيستي، وهي دار مجلس النواب السابق في بنغازي ويسمى «الليتوريو»[39] وعند الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة من اليوم جيء بالسيد عمر. وفي الساعة الخامسة والربع دخلت هيئة المحكمة، وكانت مؤلفة من:

الكولونيل مارينوني رئيساً. ومن الأعضاء: فرنشيسكو رومانو. الماجور دليتلا. السنيور مندوليا. السنيور مانزوني. السنيور دي كريستوفرو كاتباً. وبعد اكتمال الهيئة افتتحت الجلسة، ونودي بالدعوى ضد عمر المختار لاعتدائه على سلامة الدولة، وعلى أمن البلاد، ولقطعه الطريق. ثم نودي عليه وبوشر في استجوابه. وبعد أن أجاب عن اسمه، ومولده وعمره سئل عما يأتي:

---

(38) انظر ما دار بينهما من الحديث في المفاوضات.

(39) الليتوريو: هيئة الضباط الرومانيين الذين كان لهم شرف السير أمام القضاة أثناء قيامهم بوظيفة العدل، وكانوا يحملون حزمة القضبان والفأس التي اتخذها الفاشست آنذاك شعاراً لهم، وقد أطلق الاسم على مركز إدارة الحزب الفاشستي.

هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا؟ وهل حاربت الدولة؟ وهل شهرت السلاح في وجه قوات الدولة واشتركت في القتال اشتراكاً فعلياً؟ وهل أمرت بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون العمال أثناء إنشاء الطرق؟ وهل أمرت بالغزو واشتركت فيه؟ وهل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالي؟ فأجاب عن هذه الأسئلة كلها بالإيجاب. وكانت نعم تخرج من فيه لا يشوبها أي خفاء.

وسئل: هل قتلت الطيارين: بياتي وأوبر؟ فأجاب: إني بعد القبض عليهما أبقيتهما في المعسكر وخابرت بشأنهما السلطة الإيطالية، وفي ذات يوم حصلت معركة فذهبت إليها فقُتلا بعدي ولا أعلم من القاتل.

وسئل عن عدد المعارك التي باشرها من سنة 1329 فقال: لا أدري.

ثم سئل السيد عمر: هل لديك ما تقول زيادة عما تقدم؟ فقال لا. فرفعت الجلسة وكانت الساعة السادسة تماماً.

وفي الساعة السادسة والربع عادت المحكمة إلى الانعقاد، وتلا الرئيس الحكم فإذا هو يثبت إدانة السيد عمر ولذلك حكمت عليه المحكمة بالإعدام.

تنفيذ الحكم:

وفي صباح يوم الأربعاء 4 جمادى الأولى سنة 1350 الموافق يوم 16/ 9/ 1931 اتخذت التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم في السيد عمر، فأحضر جم غفير من سكان تلك الناحية والبادية القريبة منها، وأحضر جميع المعتقلين السياسيين خصيصاً من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم في السيد عمر، وحضر لحفظ النظام طابور أُلف لهذا الغرض من جميع أقسام الجيش والميليشيا والبحرية والطيران. وفي الساعة التاسعة تماماً سلم السيد عمر إلى الجلاد فوضع حبل المشنقة في عنقه، وبعد بضع دقائق صعدت روحه الطاهرة إلى ربها تشكو إليه عنت الظالمين وجور المستعمرين. تغمّده

الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، وعوض على المسلمين خيراً مما يفقدونه من رجال أمثال السيد عمر المختار.

الاستياء لقتل السيد عمر:

وقع هذا الحادث المؤلم من نفوس المسلمين جميعاً موقع الألم والاستنكار، واستفظعوا أعمال الطليان بهذا البطل الذي حاربهم محاربة شريفة، ونازلهم في ميدان الدفاع عن وطنه وجهاً لوجه، وثبتت نزاهته لديهم في عدة مواقف حتى صرح الدفاع في جلسة الحكم عليه بالإعدام: «إن المتهم يمتاز عن بقية الزعماء بعدم ابتزاز أموال الدولة».

واحتجت جميع الأمم الإسلامية على هذا التصرف المعيب من ناحية الطليان الذي لا يتفق مع التقاليد الدولية.

ولقد قام قبل السيد عمر المختار بالدفاع عن وطنه ضد المستعمرين الأميرُ عبد القادر الجزائري، وأحمد عرابي باشا المصري، والأمير محمد عبد الكريم المراكشي، وكل هؤلاء وقعوا في قبضة أعدائهم فعاملوهم معاملة الأبطال وقواد الجيوش، واحترموا فيهم تلك الصفات البارزة فكانوا عندهم من ذوي المكانة والاعتبار.

ولم يكن الفرق بين السيد عمر وبين هؤلاء وغيرهم من رؤساء النهضة الشرقية، فكل منهم كان مخلصاً لوطنه صادقاً في دفاعه، ولكن الفرق بين إيطاليا وبين انكلترا وفرنسا أن هاتين تقدّران الرجال حق قدرهم، وتعرفان للرجولة حقها وللبطولة احترامها، مهما أمعن الثائر في معاداتهما، أو وقف في طريقهما. أما الطليان فلا يرعون للرجُل حرمة كائناً من كان متى كانت له ميول لا تتفق مع رغباتهم، أو استعمل نفوذه ضدهم، مهما كان محقاً في أعماله، ولا يحترمون البطولة، لأنه لا يوجد عندهم هذا النوع من الصفات الإنسانية.

في سوريا:

وأقيمت المآتم للسيد عمر في دمشق وفلسطين وحيفا وطرابلس الشام وجميع المدن الشامية، وصُليت عليه صلاة الغائب في جامع بني أمية، ودعا الخطباء إلى مقاطعة البضائع الإيطالية، وأغلقت الحوانيت. وألف الناس مظاهرات طافوا بها شوارع المدن احتجاجاً على قتل السيد عمر. وظهرت جميع المدن الشامية بمظهر الحداد على هذا الرجل العصامي الذي تربطهم به جنسية العروبة وأخوّة الإسلام. وتجلت أواصر قربى العروبة في فلسطين بما لا مزيد عليه. ولم تقتصر على هذا، بل أرادت أن تخلد ذكرى السيد عمر لتبقى أمام الشبان ماثلة تذكرهم بهذه البطولة العربية المسلمة. فسمت بلديةُ مدينة غزة شارعاً من أكبر شوارعها «شارع عمر المختار»، وسمت فلسطينُ كشافة مدارسها «كشافة عمر المختار»، وغير هذا كثير من مظاهر عطف المدن الشامية على الطرابلسيين بما أصيبوا به في أموالهم وأنفسهم، وبفقد زعيمهم الذي ماتت بموته حركة دامت اثنتين وعشرين سنة كان يرجى من ورائها تحرير أمة إسلامية، وشعب من شعوب العروبة الصادقة.

وكان مما أغضب القنصلَ الإيطالي في القدس أن تسمي بلدية غزة شارعاً من شوارعها باسم «عمر المختار» فاحتج على هذا العمل. فاجتمع حاكم غزة الانكليزي برئيس بلديتها الأستاذ فهمي الحسيني وذكر له اعتراض قنصل إيطاليا على هذه التسمية. فكتب رئيس البلدية إلى حاكم غزة ما نصه:

«لكل مدينة شعورها، ويحق لبلدية تلك المدينة إظهار هذا الشعور. فكما أن لبلدية تل أبيب الحق في تمجيد هرتسل وبلفور وغيرهما ممن تسُوء ذكراهم غير اليهود فلبلدية غزة أن تمجد الشخص الذي يحمل له الأهلون في قلوبهم أطيب الذكرى وأسمى معاني الاحترام. فإذا كانت ذكرى الشهيد عمر المختار تسيء إلى إيطاليا فذلك ما اقترفته إيطاليا نفسها لا بلدية غزة،

لذلك فإنني أعتقد أن اعتراض قنصل دولة إيطاليا في غير محله، واقبلوا فائق احترامي».

20 رمضان سنة 1350

فهمي الحسيني
رئيس بلدية غزة

في تونس:

وكانت الحال في تونس شبيهة بما ذكرنا في فلسطين. فأقيمت صلاة الغائب في تونس على السيد عمر يوم الجمعة 27 جمادى الأولى سنة 1350 وتليت آيات الذكر الحكيم على روحه. وأقام الحزب الدستوري في تونس حفلة تأبين كبرى للسيد عمر حضرها كثير من الأعيان والوجهاء، وتبارى الخطباء في ذكر مناقب الفقيد وما أبداه من ثبات في الدفاع عن وطنه.

وقد تليت في هذا الحفل الحاشد قصيدة لشاعر الشباب التونسي السيد محمود أبي رقيبة يرثي بها السيد عمر المختار منها:

مضى عمر المختار لله رافلا ... بثوب نقي حِيكَ من خالص الطهر
مضى عمر المختار لله بعدما ... قضى الواجب الأسمى بأعلى ذرى الفخر
مضى عمر المختار لله هانئاً ... سعيداً شهيداً وانطوت صفحة العمر
مخلِّفةً للعالمين مآثرا ... هي الغرر البيضاء في جبهة الدهر
ومن دمه المسفوك سطَّر آية ... سيحفظها التاريخ بالحمد والشكر

وكان هذا المأتم مظهراً من مظاهر الأُخوة تجلت فيه عواطف المحافظة على حقوق الجار، وبرهاناً من إخواننا التونسيين على ما في نفوسهم من عطف عرفناه لهم منذ بدء حركة الجهاد في طرابلس.

في مصر:

وقد قامت مصر بدورها تندد بأعمال الإيطاليين في طرابلس وتحتج على قتل السيد عمر، وقد ظهر التأثر لقتل السيد عمر على جميع ما في مصر: صحافتها، وجمعياتها، وطلابها، وشعرائها، وكثير من شخصياتها البارزة، حتى على الفلاّح في كوخه والمزارع في حقله.

ولقد كان لجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية وجمعية مكارم الأخلاق موقف إزاء هذا الحادث كان ككل مواقفها المشرفة إزاء ما ينتاب المسلمين مما يحتاج إلى تنبيه الأفكار والدعوة إلى توحيد الصفوف، مما كان له الأثر المحمود في النهضة الشرقية.

وإن أكبر حفل أُعد في مصر لإحياء ذكرى السيد عمر المختار هو ذلك الحفل الذي أعده حضرة صاحب السعادة حمد الباسل باشا في منزله بسراي القبة بمصر يوم الخميس 2 رجب سنة 1350 ودعا لحضوره الأمراء والوزراء، وأعيان الكتاب والشعراء، ووجهاء السوريين، والمفكرين من الشرقيين عامة، وكان هذا الاحتفال يعلوه جلال المدعوين ومهابة المحتفل به.

وبينما المدعوون على وشك الوصول إلى محل الاحتفال إذ صدرت الأوامر بمنعه، وأُحيطت دار حمد الباسل باشا بسياج من الجنود يمنعون الوافدين من الدخول إليها. وقد بذل سعادة الباسل باشا قصارى جهده للاحتفاظ بحقه في إقامة هذا الاحتفال، ولكن شاء الله خلاف ما أراد، ولعبت السياسة دورها قاتلها الله. ونحن نكتفي بنشر المهم مما أُعد ليقال في هذا الاحتفال العظيم تأبيناً لبطل طرابلس الغرب.

كلمة السيد عمر طوسون

حضرة صاحب السعادة حمد الباسل باشا.

إن الموتة الشنعاء والقتلة النكراء التي راح فيها الزعيم العربي الكبير، والمسلم الصادق المجاهد الخطير السيد عمر المختار ضحية حبه لبلاده، وذوده عن شرفه ووطنه لم يزل أثرها العميق، ولن يزال، في قلبنا وقلب كل شرقي دامياً نثاراً. والدم الزكي الذي أُهرق من هذا الشهيد العظيم دم غير مطلول ما دام في الشرق والشرقيين عرق ينبض وعين تطرف. فقيامكم برثائه وتأبينه في حفل حافل يليق بمقام هذا الرجل الكريم يقابَل منا ومن كل ذي شعور حي بأجزل الشكر وأوفر الثناء، لأنكم بذلك قمتم بالمفروض علينا نحن المصريين جميعاً له ولإخواننا المجاهدين الطرابلسيين الذين لم تكلّ سواعدهم في الدفاع عن وطنهم طوال هذه السنين، ولم يتطرق الخور إلى نفوسهم من عدوهم القوي وعُدده، حتى أصبحوا بحقٍ مضرب المثل في الشجاعة والإقدام، والصبر على المجاهدة، وإيثار الوطن على النفس والمال. فتصوروا كيف تكون غيبتنا عن مشاهدة هذه الحفلة التي نصبو إليها من صميم قلبنا داعيةً لأسفنا، ولكنها الأعذار الملجئة تحول بين المرء وما يشتهي، فنرجو أن يكون في هذا الكتاب ما يعبر عن اشتراكنا معكم في هذا العمل الجليل أصدق تعبير.

وإننا ننتهز هذه الفرصة فنهديكم وجميع المشتركين معكم في هذا الواجب أطيب التحية والسلام.

9 نوفمبر سنة 1931

عمر طوسون

كلمة حضرة صاحب السعادة
حمد باشا الباسل

سادتي الأجلاء:

شكراً للأمير عمر على نبيل عاطفته ورقيق كلمته. ثم شكراً جزيلاً لكم لما تجشمتم من مشقة الحضور إلى هنا لمشاركتنا في إحياء ذكرى الشهيد الكبير عمر المختار، وشكراً كثيراً للمثل الأعلى الذي ضربتموه لكل أمم الشرق في احتفائكم به والإشادة بذكراه، ولكن لا عجب فأنتم فخر مصر وصفوة العرب ورجالات الشرق العاملين.

أيها السادة:

ليست صلة القربى، ولا أواصر النسب، ولا عروة الأسرة التي تجمع بين الماثل أمام حضراتكم وبين الشهيد العظيم هي التي دفعتني إلى التقدم برغبتي في تفضلكم بالمشاركة في الاحتفاء بذكراه والترحم عليه.

كلا أيها السادة، إنما كان الحافز والدافع علاقة أسمى وأنبل، ورابطة أعلى وأفضل. تلك هي صلة قرباكم أنتم رجال مصر، وزعماء الشرق وحماة الإسلام، وكماة العرب بالشهيد العظيم. أجل إنها صلة قرباكم أنتم به أو قرباه بكم، هي وحدها سر اجتماعنا لنقدس فيه وفيكم تلك المعاني السامية التي تربطكم به وتحيّونها فيه، من حب للبلاد عظيم، وشجاعة في الحق لا تخمد، ووفاء وأمانة وصبر وثبات وإقدام وتضحية.

تحيّون فيه هذه الصفات لأنكم ترونها فيه وفي أنفسكم، إنها هي دعائم الحياة وسر الوجود، ففي ذكرها حياة وفي طمسها موت.

وما كان عمر المختار ممن يعملون للعاجلة، وما كان ممن يسلب نهاهم حطامُ الدنيا وفتنتها، بل لقد خرج عنها كما دخل فيها إلا بذكرى الجهد الجهيد، والكفاح الشديد والأثر المجيد. ثم بالموت شهيداً ولسان حاله يقول:

ولست أبالي حين أُقتل مؤمناً على أي جنب كان في الله مصرعي

أجل أيها السادة جهابذة العرب وصناديد الإسلام.. هذه هي صلة القربى الدائمة التي تصل أرواحكم بروحه وحياتكم بحياته ودماءكم بدمائه، فما مات من أنتم ذاكروه، ولا قُتل من أنتم ناصروه.

أيها السادة:

أنا لا أريد أن أتعدى بكلمة الافتتاح على حقوق حضرات الخطباء المبرّزين والشعراء القادرين وأصدقاء الشهيد العظيم الذين يتحدثون بما لهم من صوت أعلى وموهبة أسمى. وقصارى القول إن تاريخ الجهاد الوطني سيسجل في صفحته الباقية للأزمنة القادمة صحيفةَ عمر المختار ناصعة وضاءة.

وسيسجل التاريخ أن عمر المختار الذي حارب اثنين وعشرين عاماً في قلة عدد وعُدد، وقلة مال ورجال، وفي منطقة لا تتجاوز بضعة أميال ـ كان شريفاً في وطنيته، شريفاً في ذوده عن بيضته، شريفاً في معاملة أعدائه وخصومه، شريفاً في حومة الوغى. وكان قنوعاً عيوفاً ذا مروءة وحزم وصبر وجلَد، وكان نبيلاً في وسيلته كما هو نبيل في غايته، وجماع القول إنه كان يعمل للوطن الخالد لا للطارف والتالد، وأخيراً كان حقيقاً باحتفائكم يا رجال النهضة والحرية والاستقلال.

وأنتِ يا روح عمر... اسمعي وأنت ترفرفين علينا من ملئك الأعلى حُكم الله، في كتاب الله، لجهادك في سبيل الله:

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

مرثية أمير الشعراء
أحمد شوقي بك

ركَـزُوا رُفـاتـكَ فـي الـرِّمـالِ لِـواءَ يـستـنـهِـض الـوَادِي صـبـاح مـسـاء
يـا وَيْحَـهـم: نـصبُوا مناراً مِن دَمٍ تُـوحي إلـى جيـلِ الـغدِ الـبغـضاءَ
ما ضَرَّ لو جعلوا العلاقة في غدٍ بـيـن الـشـعـوب مـودَّةً وإخـاءَ؟
جُرحٌ يصيحُ على المدى وضحيةٌ تـتـلـمَّـسُ الـحـرِّيَّـةَ الـحـمـراءَ
يـا أيُّـهـا الـسـيفُ الـمجـرَّدُ بـالـفـلا يكسو السيوفَ على الزمان مضاءَ
تلكَ الصَّحارى غِمدُ كلِّ مُهنَّدٍ أبـلـى فـأحـسـنَ فـي الـعـدوِّ بَـلاءَ
وقـبـورُ مـوتَـى مـن شـبـاب أُميَّـةٍ وكُـهـولِـهـمْ لَـمْ يـبـرحُـوا أحـيـاءَ
لَـوْ لاذ بـالـجـوزاءِ مِـنـهُـم مَـعـقِـلٌ دخـلـوا عـلـى أبـراجـهـا الـجـوزَاءَ
فـتـحُـوا الـشـمـالَ سُـهـولَـهُ وَجِـبـالـه وتـوغَّـلـوا فـاسـتـعـمرُوا الـخـضـراءَ
وبـنَـوا حـضـارتـهُـمْ فـطـاوَلَ ركـنُـهـا دارَ الـسَّـلام[40] وجِـلَّـقَ[41] الـشَّـمـاءَ
خُيِّرتَ فاخترتَ المبيتَ على الطَّوى لَـمْ تـبـن جـاهـاً أوْ تـلـمَّ ثـراءَ
إنَّ الـبـطـولـة أن تـمُـوت مِـنَ الـظَّـمـا لَـيْـسَ الـبـطـولـةُ أن تَـعُـبَّ الـمـاءَ

(40) دار السلام: هي بغداد.

(41) جلق هي دمشق.

أفريقيا مَهدُ الأُسودِ ولحدُهَا ضَجَّتْ عليك أراجلاً ونساءَ
والمسلمُونَ على اختلافِ ديارهمْ لا يملِكُونَ مَعَ المُصابِ عزاءَ
والجاهِليَّةُ مِنْ وَرَاء قُبُورِهمْ يبكون زيدَ الخيلِ والفلْحاءَ[42]

* * *

في ذِمَّة الله الكريم وحِفظهِ جَسدٌ ببرْقة وُسِّدَ الصَّحراءَ
لم تُبقِ منه رحى الوقائع أعظُماً تبلى ولم تُبقِ الرِّماحُ دِماءَ
كرُفاتِ نَسْرٍ أوْ بقيَّةِ ضَيْغمٍ باتَا وَرَاءَ السّافيَات هَباءَ

* * *

بطلُ البداوة لم يكُنْ يَغزُو على «تَنْكٍ»[43] ولم يَكُ يَركَب الأجواءَ
لكنْ أخو خيلٍ حمى صَهَوَاتها وأدَارَ مِنْ أعْرافِها الهَيْجاءَ
لَبّى قضاءَ الأرض أمس بمُهْجةٍ لم تخْشَ إلا للسَّماء قضاءَ
وَافاهُ مَرفوعَ الجبين كأنَّهُ سُقراطُ جَرَّ إلى القضاة رِدَاءَ
شيخٌ تمالك سِنَّهُ لم يَنفجِر كالطِّفل من خوف العِقاب بُكاءَ
وأخو أُمورٍ عاشَ في سَرَّائها فتغيَّرتْ فتوَقَّعَ الضرَّاءَ
الأُسْد تزأرُ في الحديد، ولن ترى في السَّجن ضِرْغاماً بكى استخذاءَ
وأتى الأسيرُ يجرُّ ثِقْلَ حديده أَسدٌ يجرِّرُ حَيَّةً رَقطاءَ
عَضَّتْ بِساقيْهِ القيُودُ فلم يَنُؤْ ومَشتْ بهيكَلهِ السِّنون فناءَ
سَبْعُونَ لو ركبتْ مَناكِبَ شاهقٍ لَترجَّلتْ هَضباتُهُ إعْيَاءَ
خفِيتْ على القاضي، وفات نصيبُها مِنْ رِفْقِ جُندٍ قادةٍ نُبلاءَ

---

(42) الفلحاء: لقب عنترة العبسي.

(43) تنك: هي الدبابة المستعملة في الحروب.

والسِّنُّ تعطِفُ كلَّ قلبِ مُهَذَّبٍ ... عرفَ الجدُودَ وأدْرَكَ الآبَاءَ

* * *

دَفعوا إلى الجلاَّدِ أغلبَ مَاجِداً ... يأسُو الجراحَ ويُطلِق الأسراءَ

ويُشاطرُ الأقرانَ ذُخْر سِلاحِهِ ... ويَصُفُّ حول خُوانه الأعداءَ

وتخيَّلوا الحبل المَهينَ منيَّةً ... لِلَّيث يلفظ حوله الحَوْباء

حرموا المماتَ على الصَّوارم والقنا ... من كان يُعطى الطَّعنة النَّجلاءَ

إني رأيتُ يد الحضارة أُولِعَتْ ... بالحقِّ هَدْماً تَارَةً وبِناءَ

شرَعتْ حُقوقَ النَّاس في أوطانهم ... إلا أُبَاةَ الضَّيْمِ والضُّعفاءَ

* * *

يا أيُّها الشعبُ القريبُ أسامعٌ ... فأصوغَ في عُمَرَ الشَّهيدِ رِثَاءَ

أمْ ألجمتْ فاكَ الخطوبُ وحرَّمتْ ... أُذنَيك حين تخاطَبُ الإصغاءَ

ذَهَبَ الزَّعيمُ وأنت بَاقٍ خالدٌ ... فانقدْ رجالكَ واختر الزُّعماءَ

وَأرِحْ شُيوخكَ من تكاليف الوغى ... واحمِلْ على فِتيانِكَ الأعْبَاءَ

شوقي

مرثية شاعر القطرين
خليل بك مطران

أبَيتَ، والسيفُ يعلو الرأسَ، تسليما   وُجدتَ بالروح جودَ الحُر إن ضِيما
تُذكِّر العُربَ والأحداث مُنْسيةٌ   ما كان، إذ مَلكوا الدنيا، لهم خِيما
لله يا عمرَ المختار حِكمتُه   في أن تُلاقيَ ما لاقيتَ مظلوما
إن يقتلوك فما إن عجّلوا أجلاً   قد كان، مُذ كنتَ، مقدوراً ومحتوما
هل يملكُ الحيُّ، لو دانت له أُممٌ،   لأمرِ ربك تأخيراً وتقديما
لكنها عظةٌ للشرق أوسعَها   مصابُه بك في الإخلاد تجسيما
لعلَّه مستفيقٌ بعد هَجْعتِه   أو مستقيلٌ من الخسف الذي سِيما
أجدِرْ بِرُزئك لم تحذَر عواقبه   أن يفجع العربَ تخصيصاً وتعميما
وأن يؤجِّجَ ناراً من حميَّتهم   وأن يَرُدَّ فِرَنْدَ الصَّبر مثلوما
هيهات نُوفِيك، والأقوالُ عُدتُنا،   حقاً ونوفي الصناديدَ المقاحيما
من الأُلى صبروا الصبرَ الجميلَ وقد   ذاقوا الكَريهين: تقتيلاً وتكْليما
لعلَّ أشقاهُم الباقي على أسفٍ   وعلَّ أروحَهم من قرَّ مرحوما
قد أثَّموكم وكم من مُثلةٍ نزلت   بالأبرياء وبالأبرار تأثيما

وإنما ذَنْبُكم ذنبُ الألى جعلوا صِدقَ الهوى للحمى ديناً وتعليما
امضُوا رفاقاً كراماً حسبُكم عِوضاً فخرٌ عزيزٌ على الخُطّاب إن ريما
قد سِرتُم في سبيل الخير سيرتَكم مُحَقِّقين رجاءَ خِيلَ موهوما
لا حاكماً دون ما أوحت ضمائرُكم تراقبون ولا ترعون محكوما
يحطّم العظمُ منكم دون بُغيتكم فما تهون ويأبى العزمُ تحطيما
ليس الإرادةُ إلا من يكون على رأيٍ ومن يتناهى فيه تصميما

❋ ❋ ❋

ما السجن؟ حين يُذادُ الخسفُ عن وطن بعاره باءَ في الأوطان موصوما
يُغني من الشمس في أعماق ظُلْمته برقٌ من الأمل المَوْمُوق إن شِيما
عَذْبٌ على طِيبها لو شِيب كوثرُها بظِلّ باغٍ لعاد الوِردُ مسموما
ما الموتُ؟ إن تك منجاةُ البلاد به من غاصبٍ وانتصافُ الشّعب مهضوما
هذا هو العيشُ والقسط العظيمُ به من خالد الفخر فوق العُمْر تقويما
إنَّ الفِداء لأغلى ما حَمدت له أُخرى وإن كان في أُولاه مذموما
وما اعتدالُ زمان لا يقوِّمُه بنوه بالصبر والإقدام تَقويما

❋ ❋ ❋

يا سادةً أطلعت مِصرٌ بهم شُهباً والليلُ خيَّم بالأحداث تخييما
فما وَنَوْا للحمى عن واجب وبَنَوْا للمجد فيه طرافا كان مهدوما
أعِزَّةً إن بدا من فضلهم أثرٌ فكم لهم من جميلٍ ظَلَّ مكتوما
وللفِدى كالندى حالٌ منزَّهة في حكمها ينفس المجهولُ معلوما

شاركتم الجارَ في خطب ألمَّ به   وما ادخرتم لشيخ العُرب تكريما
كذا تكافىءُ مصرُ العاملينَ بما   يعدو الأمانيَّ تمجيداً وتعظيما
أكرِم بها وهي تحني الرأسَ هاتفة   تحيةً أيها القتلى وتسليما

خليل مطران

بعد موت السيد عمر

كان مع السيد عمر رجال من رؤساء القبائل يديرون معه شؤون القتال وأمور المجاهدين، وفي مقدمة هؤلاء الشيخ يوسف بو رحيل المسماري، والشيخ عبد الحميد العبار. وقد اجتمع رؤساء الجند وأعيان المجاهدين بعد موت السيد عمر وتشاوروا في من يخلفه في الزعامة فاتفقت كلمتهم على أن يخلف السيدَ عمر في زعامته الشيخُ يوسف بو رحيل المسماري. وقد قبل الشيخ يوسف ما كلف به ونهض لتكميل ذلك البناء الذي أسس قواعده السيد عمر، وحف من حوله أولئك الأشبالُ الذين كانوا يحفون معه بالسيد عمر. ورأى العدو أن غمز قناة المجاهدين بعد موت السيد عمر أصبح ميسوراً له، فضاعف قوته ووالى هجماته بكل ما عنده من أنواع السلاح. ودافع المجاهدون عن أنفسهم دفاع المستميت. وانقضت أربعة أشهر بعد موت السيد عمر لم ينقطع فيها القتال يوماً واحداً. ولكن انضم إلى قوة الطليان قوة أخرى لا تمكن مقاومتها، تلك هي قوة الجوع. إذ إن سدَّ المسالك على المجاهدين وقطع الصلة بينهم وبين جميع العالم أثر فيهم تأثيراً سيئاً من جهة الجوع، فكنتَ ترى الرجل واقفاً أو ماشياً لا يلبث أن تعتريه دوخة من شدة الجوع وإذا به ملقى على الأرض. فلم تمض أربعة شهور على قتل السيد عمر حتى اشتدت بهم المجاعة وعجزوا عن الدفاع، فقرر من بقي منهم الالتجاء إلى مصر. فسار الشيخ عبد الحميد العبار والشيخ يوسف بو رحيل وعثمان أفندي الشامي في نفر من المجاهدين من ناحية الجنوب،

وكثير من المجاهدين ذهبوا من ناحية الشمال ووجهة الجميع الحدود المصرية. وبعد ثلاثة أيام فارقهم عثمان أفندي الشامي يقصد الاستسلام إلى الطليان فسلَّم نفسه في عين الغزالة يوم 6 شعبان سنة 1350، وبقي كثير من المجاهدين بالجبل الأخضر آيسين من حياتهم ومنتظرين الموت: إما بالجوع أو برصاص العدو.

وقد بلغ الطليان أن رؤساء المجاهدين غادروا الجبل إلى الحدود المصرية، ولم يتحققوا هذا الخبر إلا في أول يوم من شعبان سنة 1350، إذ تمكنوا من أسر محمد خير الله رئيس فرقة العبيد، وهو في أثناء مجيئه إلى مصر، فعلموا منه صدق الخبر، فحشدوا قوة كبيرة على الحدود المصرية ممتدة مع الأسلاك الشائكة بين كل جندي وآخر مائتا متر، ومعها عدد كبير من السيارات المدرعة.. وبقوا يترصدون قدوم المجاهدين إلى ليلة 4 منه. وفي هذه الليلة وصل الحدود قسم من المجاهدين بينهم الشيخ يوسف بو رحيل، فاعترضهم الإيطاليون وحصلت بين الفريقين معركة حاول أثناءها المجاهدون اجتياز الأسلاك الشائكة، ولكن كثرة الجنود الإيطالية حالت دون ذلك. فاضطر الشيخ عبد الحميد العبار في نفر من رجاله إلى الرجوع ناحية الجبل، وبقي الشيخ يوسف بو رحيل منتظراً غفلة العسس الإيطالي ليجتاز الحدود. ولكنه عثر عليه يوم 9 شعبان سنة 1350 في أربعة من أصحابه، فتركوا خيولهم وتحصنوا بمغارة ودافعوا عن أنفسهم حتى قُتلوا أربعتهم عليهم رحمة الله. وقد أعجب الإيطاليون ببسالة الشيخ يوسف بو رحيل فقالوا في بلاغهم ما نصه:

«وقد أظهر يوسف بو رحيل ورفقاؤه الثلاثة بسالة مدهشة حتى آخر دقيقة من حياتهم، وعندما سكت البارود من جهة المغارة تقدم نحوها التننتي بريندزي فوجد فيها أربع جثث لم تزل البنادق حامية في قبضة اليد. وهكذا انتهت حياة الرئيس العظيم البرقاوي أحد تلاميذ مدرسة جغبوب القرآنية ومستشار عمر المختار».

وهذه شهادة من الطليان بشهامة الشيخ يوسف بو رحيل وحسن بلائه فيهم إلى آخر لحظة من حياته.

أما الشيخ عبد الحميد العبار فقد عاد مرة ثانية إلى الحدود في نفر نحو الخمسين رجلاً واجتاز بهم الأسلاك الشائكة ودخلوا الحدود المصرية في منتصف شهر شعبان سنة 1350، لا بواسطة وضع الخيام على الأسلاك الشائكة كما يقول البلاغ الإيطالي، ولكن بواسطة مقصات كانت معهم معدَّة لقطع الأسلاك. ولكن البلاغ الإيطالي ضلل هذه الحقيقة، وخاف كاتبه أن يذكر أن لدى المجاهدين مقصات فيتذكر أن لديهم مدافع وبنادق ومتراليوزات من أحدث طراز من السلاح الإيطالي مما غنمه المجاهدون في ميادين القتال فتسوءه هذه الذكرى المؤلمة.

خاتمة

لم تكن مأساة عمر المختار أول مأساة ارتكبها الإيطاليون، ولا هي الوحيدة من نوعها، التي جرحت كبرياء الليبيين وكرامتهم.

بل كل وجود الإيطاليين في ليبيا سلسلة من المآسي، مؤلفة من ثلاث وثلاثين حلقة، كل حلقة طولها مسيرة سنة. ولو حاول الإنسان أن يجد في هذه السلسلة الطويلة مكاناً لإنصاف الإنسان، أو احترام آدميته لما وجد ذلك.

وحينما نتذكر ما قاساه الشعب الليبي في العهد الإيطالي من القتل الجماعي، والإهانات المميتة، وجرح الكرامة، وسلب الآدمية، في ظروف كان يتمنى الموت فيها فلا يجده ـ حينما نتذكر ذلك تنعقد الألسنة عن الكلام، وتتبلد العقول فلا تفكر. ولولا تلك الزفرات المحرقة التي تتصاعد من صدورنا لعدَدْنا أنفسنا من الأموات.

احتلت إيطاليا ليبيا في أكتوبر سنة 1911، وبقيت فيها ثلاثاً وثلاثين سنة، كل يوم من هذه السنين لا يقل في طوله عن سنة، كما لاقى فيها الليبيون من ظلم الطليان وعنتهم.

ولم يقتصر علمُ هذه المآسي على الليبيين وحدهم، بل شاهده وشهد به مراسلو الصحف الأجنبية الذين كانوا في طرابلس وقت الاحتلال، وكان بعضهم مرافقاً للجيش الإيطالي. وهذا نص ما قاله مكاتب جريدة التايمز:

(إن الشدَّة التي استعملها الجيش الإيطالي في الانتقام من العرب، يصح أن يقال عنها: إنها كانت عمل قتلٍ إجمالي بدون تفريق. وقد فتحت أبواب سفك الدماء. وفي أكثر الأوقات تجاوز الطليان كلّ حدّ، ومثلوا بالأبرياء).

ونشرت الديلي كرونكل ما نصه: (ظل الجيش الإيطالي ثلاثة أيام يُطلق الرصاص على كل من يلقاه في طريقه بدون محاكمة، وقتل عدداً كثيراً من النساء والأطفال. وقد بلغ عدد من قتلوهم من العرب ـ من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ـ أربعة آلاف عربي.

وصدرت الأوامر بقتل كل من يوجد في المنشية. وأن يدخلوا البيوت واحداً واحداً).

ويوم الاثنين الذي ذكره المراسل هو يوم الثالث من أكتوبر سنة 1911 الذي وقعت فيه معركة المنشية. وتسمى أيضاً معركة شارع الشط!!

وإذا كان الطليان قتلوا من مدينة طرابلس أربعة آلاف في خمسة أيام، فكم يكون عدد من قتلوهم من ليبيا كلها في ثلاث وثلاثين سنة.

ويقول أحد المراسلين: (إن جثث الشيوخ والأطفال والنساء كانت أكواماً مكدّسة. وكان ما ارتكبه الطليان في الساحل والمنشية من أفظع ما شوهد في تاريخ البشر).

كانوا يتركون القتلى في الشوارع حتى تتعفن أجسامهم. وكانوا يتركون الجرحى يئنون على مرأى ومسمع من الصليب الأحمر حتى يموتوا. كانوا يربطون الرجل والرجلين في حبل ثم يضعونهم مكان الهدف، ويتعلمون فيهم الرماية.

كانوا يجذبون أقراط النساء من آذانهن بالقوة فتنقطع آذانهنّ. وحدث في الرحيبات أنهم قتلوا جماعة ورموهم من رؤوس الجبال.

وكان جرازياني يمر بسيارته على المجروحين حتى يجهز عليهم.

ولما حشروا العرب في العقيلة سنة 1930 كانوا يشنقون النساء عاريات أمام ذويهن، زيادة في الإذلال والقهر.

وفي سنة 1923 شنقوا في الجفارة عشر نساء عاريات. وفي مصراتة دخلوا بيت أسرة ماطوس، وقتلوا كل من فيه من نساء وأطفال وألقوا بهم في بئر المنزل، وطمروها عليهم. وفي سنة 1931 رمى البحر على مقربة من مرسى مطروح بمصر أربع عشرة جثة مربوطة بسلسلة من حديد.

وبلغ من إهانتهم للعرب أن حرّموا على العربي أن يركب في سيارة إلى جنب إيطالي. وحرموا على العربجي الإيطالي أن يُركب عربياً في عربته.

وفي إهانات الطليان لليبيين أمور يُستحى من ذكرها، تلك هي ما قاسته الليبية من إهانة في شرفها، وهي مغلوبة على أمرها، في ظروف طالما تمنت فيها الموت فلم تجده. وفي مثل هذه الظروف قالت الليبية مستنجدة برجالها:

خَذُونا ضَنا الطليان   بلا قهْر يا عِيتْ طَاميا[44]

وقد ارتكب الإيطاليون في ليبيا من المخزيات ما تستحي منه الكلاب والخنازير.

وكانت هذه المخزيات ما يتمدح به الإيطاليون ويعدونه من مفاخرهم. وهي في محل الرضا والإعجاب من جميع الشعب الإيطالي: من ملكه وبابويته، إلى سوقته وعربجيته.

ولم يرتفع في جميع البلاد الإيطالية صوت واحد يستنكر شيئاً من تلك المخزيات التي ذكرناها، والتي شاهد بعضَها مراسلو الصحف الأوروبية وشهدوا بها. . والتي كان كل الشعب الإيطالي على علم به.

---

(44) كلمة عيت، مختصرة من (عائلة) وعائلة طامية من قبيلة العواقير ببرقة.

وقد تجرد الإيطاليون أيام حكمهم في ليبيا - عن جميع مقومات الإنسان. ولولا ما فيهم من أعضاء تشبه أعضاء الإنسان لما أمكن الحكم عليهم بأنهم من بني الإنسان.

وإني أتحدَّى كلّ إيطالي أن يذكر لبني جنسه ما يميزهم عن الوحوش الضارية حينما كانوا يحكمون ليبيا.

لقد اغتصبوا بيوتنا وأرضنا ومواشينا، وحرمونا التعليم، وتركونا للفقر والجوع والمرض.

واستعملونا في إصلاح ما اغتصبوه من أراضينا بدون أجر. فإذا أبينا العمل ضربونا وأكرهونا على العمل. وأكثر هذه المآسي كانت في المدن والقرى، مع الذين لم تمكنهم ظروفهم من الهجرة، ولا من اللَّحاق بالمجاهدين.

وما كان الطليان يوماً يمثلون شجاعة الجندي حينما يشتد البأس وتحمرّ الحدق. ولذلك قال فيهم الرُّصافي:

لئن أدبر الطليانُ يوم كفاحنا ... وإنَّ لهم في بطش شجعاننا عذراً
فسلْ جيش كانيفا بنا كيف قوَّمت ... شِفارُ مواضينا خدودَهُم الصُّعرا
وكيف دحرناهم فولّوا كأننا ... وإياهمُ أُسْدُ الشرا تطرد الحُمرا

وحينما عجزوا عن مقارعة أبطالنا في ميادين القتال ركنوا إلى تلك المخزيات مع النساء والأطفال والعجزة. وفي هذا المعنى يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

عجز الطليان عن أبطالنا ... فأعَلُّوا من ذرارينا الحساما
كبّلوهم، قتلوهم، مثَّلوا ... بِذَوات الخِدر طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والعجزى ولم ... يرحموا طِفلاً ولم يُبقوا غُلاما

أحرَقوا الدُّورَ أستحلُّوا كلّ ما حَرَّمت (لاهايُ) في العهد احتراما
كشفوا عن نية الغرب لنا وجلوْا عن أُفق الشرق الظلاما
أطلَقوا الأسطولَ في البحر كما يُطلقُ الزَّاجلُ في الجوِّ الحماما
فمضى غيرَ بعيد وانثنى يحمل الأنباءَ شُؤماً وانهزاما
قد ملأنا البرّ من أشلائهم فدَعُوهم يملأوا الدنيا كلاما
أعلنوا الحرب وأضمرنا لهم أينما حَلُّوا هَلاكا واخْتراما

ولشعراء العروبة المبرّزين - مثل شوقي، وحافظ، والرُّصافي - قصائد يجب على شبابنا أن يحفظها، لما فيها من تخليد أمجاد الشعب العربي في ليبيا.

ولا سبيل إلى حصر مآسي الإيطاليين في ليبيا، فذلك شيء تضيق عنه صفحات الكتب.

وحينما قدرنا على استرداد حقوقنا عفونا عفو القادرين[45]، وكنا عرباً نكرم الضيف، ومسلمين نفي بالوعد، ولا ننقض العهد، كما علّمنا نبينا محمد ﷺ.

(45) يشير المؤلف إلى أنه بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر وطرد البريطانيين من ليبيا، لم ينتقم منهم الليبيون ولم يعاملوهم بالمثل.

المحتويات

الإهداء 5

مقدمة: جهود الزاوي في الحفاظ على التاريخ 7

تقديم الكتاب 37

التعريف بالسيد عبد الرحمن عزام 43

مقدمَة الطبعة الأولى 47

مقدمة الطبعة الثانية 51

عمر المختار 55

كيف وقعت مفاوضات الزويتينة؟ 63

نص كتاب البيعة 77

نص الرد على كتاب البيعة 81

معركة البريقة 87

الجبل الأخضر 89

تنظيم الحركة وبدء الجهاد 91

الوقائع الحربية 97

الجغبوب 99

هلال السنوسي 103

احتلال المناطق الغربية 107

أوجلة وجالو 111
الانقلاب السياسي 113
فزان 115
حديث المفاوضات 119
نداء السيد عمر 137
الرضا يخذل المسلمين 143
الكفرة 149
أسر السيد عمر 161
كلمة السيد عمر طوسون 169
كلمة حضرة صاحب السعادة حمد باشا الباسل 171
مرثية أمير الشعراء أحمد شوقي بك 175
مرثية شاعر القطرين خليل بك مطران 179
بعد موت السيد عمر 183
خاتمة 186

عمر المختار

الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا

السيد عمر المختار ليس في حاجة إلى التعريف به، ولكن ما وقع أيام جهاده من حوادث، وما لاقاه من عنف الإيطاليين جدير بأن يعرفه الشباب الليبي، ليكونوا على علمٍ بما قدم آباؤهم للوطن. وهو واجب وطني يجب أن يُعدوا أنفسهم له.

وسيجدون في شخص عمر المختار، ما يحفزهم على الاقتداء به، لأنه شيخ جرّب الأمور، وعركته الحروب، وعاش في مدرسة الحياة نحو ثمانين سنة، فكان من أنجب تلاميذها، لأنه حلب شطريها، وجرّب حلوها ومرّها.

وفي أعماله ما يُعلّمهم الصبر على المكاره، والاعتدادَ بالنفس، وحبّ التضحية في سبيل الوطن إلى أبعد حدود التضحية.

ولا غرو أن يقتدي الشباب بمثل هؤلاء الأبطال للمحافظة على نسل البطولة، ولتكريمهم بالاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

ولنا أمل في شبابنا لتحقيق هذه القدوة بهؤلاء الأبطال.

من مقدمة المؤلف

المدار الإسلامي

موقعنا على الانترنت:

www.oeabooks.com

الشيخ الطاهر أحمد الزاوي

(1890-1986)

مؤلفاته:

- عمر المختار.
- جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.
- تاريخ الفتح العربي لليبيا.
- أعلام ليبيا.
- جهاد الليبيين في ديار الهجرة (1924-1952).
- الدرر المبثثة للفيروز ابادي (شرح).
- مجموعة فتاوى.
- معجم البلدان الليبية.
- ولاة طرابلس.
- ترتيب القاموس.
- مختار القاموس.
- الكشكول للعاملي (تحقيق).
- التذكار لابن غلبون (تحقيق).
- مختصر خليل (تحقيق).
- النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (تحقيق بالاشتراك
- ديوان البهلول (تحقيق).
- تاريخ مدينة الزاوية (مخطوط).
- المنهل العذب (ج 2) للنائب الأنصاري (تحقيق).
- مثلثات قطرب، نظم ابراهيم الأزهري.
- منظومة الفروخي في الكلمات التي تنطق بالظاء والضاد (تحقيق)
- الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس للفطيسي (تحقيق).

ردمك ISBN 9959-29-130-8

9 789959 291301